سعد الله ونوس



# الملك هو الملك

مسرحية

دار الآداب

# الملك هو الملك

مسرحية

سعد الله ونوس

# الملك هو الملك

مسرحية

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الرابعة

آذار (مارس) ١٩٨٣

# مدخل

## لافتة « الملك هو الملك.. لعبة تشخيصية لتحليل بنية السلطة في أنظمة التنكر والملكية»

ملاحظتان صغيرتان

- يمكن ان يبدأ العرض، وعبيد يقرأ الملاحظات المسرحية (يدخل الشخوص إلى المسرح كما لو كانوا مجموعة من لاعبي السيرك.. الخ)، ويرافق القراءة دخول الممثلين، وذلك لتأكيد ان عبيدا وزاهدا هما اللذان يقودان اللعبة.
- اللافتات يقرأها عبيد وزاهد. ولافتة المدخل ينبغي أن تكون ذات طابع إعلاني.

(يدخل الشخوص إلى المسرح، كما لو كانوا مجموعة من لاعبي السيرك. حيوية. حركات بهلوانية. أوضاع تشكيلية تتوافق مع فقرات المقدمة. الجميع يرتدون ملابس شخصياتهم. الملك. الوزير. السيَّاف. مقدم الأمن. ميمون. أبو عزة المغفل. أم عزة. عرقوب. عبيد وزاهد. أما شهبندر التجار والشيخ طه، فيقفان في زاوية بعيدة وهما يعبثان ببعض الدمى المعلقة بخيوط ينفصل عبيد وزاهد عن المجموعة. هما اللذان يقودان اللعبة).

عبيد : (مناديا وسط الضوضاء) هي لعبة!

أبو عزة : هي لعبة.

الملك : نحن نلعب..

(يتناقل الشخوص كلمة اللعبة، بصورة فوضوية، وطبقات صوتية متنوعة. بعد قليل يدق عبيد الأرض بعصا يحملها. يصمت الجميع، وتسكن الحركة).

عبيد : الكل جاهز!

أصوات : (تتدافع دون تناسق) نعم.

- الكل جاهز.

- فلنبدأ.

السياف : دعوني أسأل قبل أن نبدأ. أأنا سياف أم جلاد؟!

زاهد : وما الفرق؟

السياف : اني أحمل بلطة لا سيفا.

عبيد : لا يهم.. ستكون سيافاً يحمل بلطة (إلى الجميع).. يا الله..!

(يبدأ الشخوص بالانقسام إلى مجموعتين. زاهد ينظم عرقوب وأبو عزة وأم عزة وعزه في مجموعة، وعبيد ينظم الملك، والوزير، والسياف ومقدم الأمن، وميمون في مجموعة ثانية تقف في مواجهة الأولى).

الشيخ والشهبندر: ونحن؟..

عبيد : أما شهبندر التجار والشيخ طه، فإنهما ينتحان ركنا، ويعبثان بالشخوص والدمى..

(ينتحي الشهبندر والشيخ ركنا قصيا متابعين عبثهما بالدمى.. في الزاوية المقابلة لها تماما، يقف عبيد وزاهد.. يدق عبيد الأرض بعصاه. تبدأ اللعبة..).

عرقوب : (ووراءه تقف المجموعة الأولى) مسموح.

السياف : (ووراءه تقف المجموعة الثانية) ممنوع.

عرقوب : مسموح.

السياف : ممنوع.

عرقوب : والحرب بين المسموح والممنوع قديمة قدم البشرية. الدهماء. الرعاع. العامة. ولنا من الأسماء ما لا يحصى، لا نشبع من طلب المسموح.

السياف : والعظام. الملوك. الأمراء. السادة. ولنا من الأسماء ما لا يحصى لا نتعب من فرض الممنوع.

عرقوب : نحن نشد.

السياف : ونحن نشد.

عرقوب : وخلال قرون وقرون هم يشدون، ونحن .. (يتوقف. يرخي يديه علامة عدم الشد) لن أطيل الشرح. المهم.. استقرب أخيرا بلادنا الميمونة على الحكمة القديمة المأمونة. المسموح على قدر الممنوع.

السياف : تمام.. المسموح على قدر الممنوع. وفي التوازن السلامة والأمان.

عرقوب : أن نتخيل!

السياف : مسموح.

عرقوب : أن نتوهم!

السياف : مسموح.

عرقوب : أن نحلم!

السياف : مسموح.. ولكن حذار..

عرقوب : أن يتحول الخيال إلى واقع.

السياف : ممنوع.

عرقوب : أو يتحول الوهم إلى شغب.

السياف : ممنوع.

عرقوب : أو تتحد الأحلام، وتتحول إلى أفعال.

السياف : ممنوع.

عرقوب : تلك هي الحكمة القديمة المأمونة. التي تسير على هديها دولتنا الميمونة. المسموح على قدر الممنوع.

ميمون : اذن نحن الآن في مملكة خيالية.

عزة : وحكايتنا وهمية.

الملك : نعم.. نعم ما هي إلا حكاية وهمية.

عرقوب : ونحن نحلم. لكل واحد حلمه، يلازمه مثل ظله (ينادي) أحلام.. احلموا جميعاً. الأحلام مسموح بها.

السياف : ولكن حذار..

عرقوب : لا.. لا.. هي أحلام فردية لا تتحد، ولا تفعل. (يكرر النداء) أحلام.. احلموا جميعاً. الأحلام مسموح بها.

(تدب الحيوية في كل الشخصيات. وينفرط تكتلهم في مجموعتين. تقريبا يتزاحمون على رواية أحلامهم).

أبو عزة : (وهو يدور كالأهبل) أصبح سلطان هذه البلاد. وأشد القبضة ولو يومين على العباد. (مغنياً) أنقش الختم على بياض، فينقضي أمري بلا اعتراض. طه، الشيخ الخائن المخادع. أجرّسه على حمار بين العامة، ثم أشنقه بلفة العمامة. وشهبندر التجار الكبير، ومعه تجار الحرير، الذين يسيطرون على الأسواق، ويتحكمون بالتجارة والأرزاق. أجلدهم حتى أشفي غليلي، ثم أعدمهم بعد

مصادرة الأملاك والمال. أمّا الخلان الذين انفضوا عني اذ رأوا إفلاسي، فسأرمي بهم في الزنـازين عـبرة للجاحدين (مغنياً) وبعد هذا نخلع العذارا، ونجعل الليل نهارا.

أم عزة : (تزيحه بجفاف) اخلع أولا هذه الأوهام التي تخبّل رأسك.

أبو عزة : ثم استبدل بهذه المرأة النكداء ألف محظية حسناء.

أم عزة : (بلهجة واقعية) ولكن لمن أشكو بلائي..! عندي رجل قليل الهمة، عديم الحيلة. تكاتف عليه أولاد الحرام، وهم في هذه الأيام أكثر من أولاد الحلال. فسرقوا ماله، وأودوا بتجارته. حل الافلاس، وبدأت تتراكم الديون والسندات. بعنا كل ما لدينا، ولم يبق إلا الدار التي تؤوينا. أصبحنا على الحصير. زوجي غرق في الطاس والأوهام، وابنتي الوحيدة لن يطلبها رجل كريم ونحن في هذا المقام. لكن لمن أشكو بلائي؟ آه لو أستطيع المثول بين يدي الملك. لم يبق سواه كيف ينصفنا، ويرفعنا من الهوة التي رمونا إليها.

أبو عزة : الآن.. آن القهر للحساد، ما دمت سلطان البلاد.

عرقوب : (مناديا) أحلام.. احلموا جميعا.. الأحلام مسموح بها..

الوزير : أنا الوزير بربير الخطير. لا أتمنى إلا أن أظل إلى جانب الملك. أسعفه بتدبيري، وأوجه الأحكام وسياسة البلاد بمشورتي.

الملك : أنا الحلم.. اني الحلم نفسه. فماذا أريد؟ (متأففا) لا أريد

شيئا .. أيها الوزير إني ضجر. (ينسحب الملك، فيتبعه الوزير).

الوزير : وأنا الظل الذي يتبعك، ويمتد وراءك.

ميمون : إني ميمون حاجب ايوان الملك ومقصورته. غاية أحلامي هي أن أرفّ في خاطر مولاي حين يلم به الضجر.

عزة : (بحياء، عيناها حالمتان.. عرقوب يتأملها بوجد) سيأتي من بلاد بعيدة. يدخل المدينة كالريح أو العاصفة. وجهه شمس ورخام، ونظرات عينيه ضربات خناجر براقة. سيفزع الرجال من نظراته، ويهرولون إلى البيوت. تخلو الشوارع، وتختبىء التفاهة.. وهو يخترق المدينة سيعطر هواءها الفاسد، وينقي جوها المسموم بالجور والذل. كالريح أو كالعاصفة سيخترق الشوارع حتى يصل إلي. يصبح وجهه مرجاً أخضر، ونظراته عشبا نديا. لن تكون لغة أو كلام. ستتلاقى اللهفة مع اللهفة، ونرتبط كخصلتين في جديلة. ثم نذهب بعيدا. لا أدري إلى أين. ولكن بعيدا .. بعيدا .. إلى بلاد هواؤها نقي، وأيامها فرح وضوء. الناس فيها أسوياء، ولا ينفقون كالكلاب في الجوع والذل. لا أدري أين. ولكن بعيدا .. بعيدا .. بلاد هواؤها نقي وأيامها فرح وضوء. إني أنتظره. ولن أتعب من انتظاره.

أبو عزة : (وهو يدور مغنيّاً) وبعد هذا نخلع العذارا، ونجعل الليل نهارا.

عرقوب : (مناديا) أحلام.. احلموا جميعا.

السياف : القلوب الضعيفة تظن أن قطع الرقاب مهنة كريهة. وهناك عقول خائرة تتوهم أن سيافا مثلي لا يذوق الراحة في رقاده. ولكن أقول، وأنا أعرف جيدا ماذا أقول. هذه المهنة تسكرني باللذة. أي نشوة حين أهوي بالبلطة! أي نشوة حين يتدحرج الرأس! أي نشوة حين تنبثق نوافير الدم! أكثر من النشوة. هي رعشة حسية لا توصف. لقد ذاقها الملك مرة. لا أدري من أين جاءته تلك النزوة. نفذ أحد الأحكام بنفسه، فأدركت من رخاء حركاته أنه تذوق تلك الرعشة. لم ألمح وجهه إلا خلسة، ولكن شعرت أن نظرته تختلج فيها الغيرة. آه.. إذا لم أبق السياف فماذا أستطيع أن أكون! أقول، وأنا أعرف جيدا ماذا أقول.. لا شيء مجرد ظل أو غبار.

عرقوب : وعرقوب! بماذا يحلم؟

أبو عزة : (ما زال يدور ويغني) وأنقش الختم على بياض فينقضي أمري بلا اعتراض.

عرقوب : (مشيرا إلى أبي عزة) هذا معلمي وأنا خادمه. دخلت في خدمته عندما كان ذا يسر ومال. ثم لم أتركه بعد أن انقلب عليه الزمان، وضاع ملكه في خبر كان. منذ فترة طويلة لم يدفع لي أجرا. بل ولحس معظم ما ادخرته على سبيل الدين. طبعا كله مسجل في الدفتر

وحسب الأصول. بقائي عنده يبدو محيِّراً. وأن يكون هو السيد وأنا الخادم يبدو مضحكاً. بعض الناس يقول إني أكثر غباء من سيدي. والبعض يرى أن الشهامة سبب بقائي. أما أنا فلست غبيا، ولست شهما كما يظنون. القصة وما فيها أن الهوى تملكني، والرغبة في وصال ابنة سيدي عزة تلهب لي جسدي. لو رحلت الآن لضاعت ديوني، وخاب الأمل في قلبي. أما إذا بقيت فستزيد الديون. تزيد وتزيد حتى تصبح مهراً لائقاً لها. عندئذ ماذا يمكن أن يفعلوا؟ أما الديون وكلها مسجلة حسب الأصول، وأما السترة وعقد القران. ذلك اليوم لن يجدوا مخرجا من حصاري، وسأنال بغيتي ومرادي. ولكن متى يأتي ذلك اليوم، وأحضن عزة في اليقظة لا في الحلم؟

أبو عزة : عرقوب.. اتبعني يا عرقوب. وانقش الختم على بياض، فينقضي أمري بلا اعتراض..

عرقوب : (وهو يتبعه) ذلك اليوم.. أنت الذي سيتبعني.. (مناديا قبل أن يخرج) أحلام.. احلموا جميعا فالأحلام مسموح بها.

الشيخ طه، والشهبندر: (معا) ونحن.. من المحراب ومن السوق نمسك الخيوط.

الشيخ طه : خيط يمسك العامة.

الشهبندر : وخيط يمسك أسباب الرزق والتجارة.

الشيخ طه، والشهبندر: وخيط يمسك القصر والملك والسياسة. نحن

نمسك الخيوط. من المحراب ومن السوق. وسنظل نمسك الخيوط.

(ينسحبان عابثين بالدمى والخيوط. يبدأ عبيد يعاونه زاهد في وضع بقجة تحت سترته.. ويسوّي هيئته بحيث يصبح متسولا.. زاهد يضع حبلا مما يستعمله الحمالون على كتفه..).

عبيد : أما نحن، فأفضل أن يدرز كل منا شفتيه، ولا يبوح بما يجول في خاطره.

زاهد : سنبقى منزويين في هذه الحكاية كما هو حالنا في الحياة.

عبيد : مرة نظهر هنا. ومرة نظهر هناك، ولكن في فواصل صغيرة وخارج سياق اللعبة.

زاهد : أما أحلامنا، فخير لنا أن ندرز شفاهنا عليها، ولا نبوح بها الآن.

(صوت صفارة العسس).

عبيد : هيا بنا..

(يخرجان راكضين.. يدخل مقدم الأمن وكأنه يطارد شخصا ما. يجول قليلا، ثم يخرج.).

# المشهد الأول

## لافتة: « عندما يضجر الملك يتذكر ان الرعية مسلية، وغنية بالطاقات الترفيهية ».

(البلاط في قصر الملك. مرقاة مكسوة بمخمل ثمين، تنتهي إلى مصطبة يتربع فوقها العرش. كرسي ضخم من الأبنوس والعاج مشبك بالذهب والمرجان. له ذراعان تنتهي كل منهما برأس تنّين أرجواني الألسنة. ما عدا ذلك، ثمة أبهة عارية. أبهة باردة ومنفوخة بالفراغ. لا شيء واقعي أو انساني. إن البلاط ما هو إلا اتساع مكاني بارد وعار.. في المؤخرة مدرجات حلزونية تفضي إلى المخدع الملكي. الملك كتلة قماشية تجلس على العرش. ان حضوره كله يبدو مكثفا في ثيابه ذات الألوان الحادة، والمعقدة في مطرزاتها.. يجب أن تظهر الثياب وكأنها قالب يرتدي الملك ويشكل قوامه. ما يبرز منها هو العباءة الضخمة، المنسوجة من خيوط ذهب وفضة. والتاج الذي ينزلق حتى منتصف الجبهة، وتنفر في مقدمته جوهرة تشع كالجمرة. يبدو غائصا في عرشه، ويده تقبض على الصولجان بتراخ.

إلى جانبه يقف الوزير. ثيابه هو الآخر فاخرة، تبدو منشاة وقاسية. انها قالب أقل اتساعا من قالب الملك، وهو مندس فيها لا تظهر منه الا رأس معمّمة.

في طرف قصيّ عند الباب يقف ميمون خافض الرأس في وضع استعداد، وعلى مقربة منه تصطف فرقة الإنشاد الملكية.

ينبغي أن تبدو الحركة في هذا المشهد آلية، وأن تشكل مع فراغ البلاط انطباعا باردا وأجوف).

فرقة الإنشاد:

أنت مولانا الكريم — سدت بالملك العظيم
فابق يا نسل الكرام — في نعيم لا يرام
بالغا كل المرام — في صفا حسن الختام
البشر في جبينه — والخير في يمينه
فاحفظه يا رب السما — معززا ومكرما

(يبدو على الملك التأفف. يشير بيده دون أن يلتفت نحوهم آمرا بالتوقف. يتوقف الغناء فورا كما يطفأ المذياع).

الوزير : (إلى الفرقة) انصرفوا..

(يخرجون بهدوء. يعود ميمون إلى وقفته الأولى خافض الرأس. صمت حرج).

الوزير : هل يسر عالي المقام تصريف بعض الشؤون العاجلة؟..

الملك : ليس هناك ما هو عاجل، حين يكون مزاجي غير معتدل.

الوزير : لا عكر الله مزاج مولاي. (مترددا) هناك اجراءات ربما يحسن أن نتداول في أمرها.

الملك : (بعد فترة) ميمون.. دلّك لي أصابع يدي.

ميمون : (وهو يقترب من الملك بنوع من الخشوع والتبتُّل، خافض النظرات) أي شرف يسبغه مولاي على عبده.

(يركع قرب العرش، يمسك يد الملك كما لو كانت جوهرة نادرة. يبدأ يدلكها. صمت).

الوزير : البارحة اجتمع الأعيان ليختاروا هداياهم من أجل

عيد التتويج. وفي اجتماعهم صاغوا بعض الآراء حول المرحلة القادمة.

الملك : ألا يتعبون من صياغة الآراء!

الوزير : تقلقهم بعض مظاهر التراخي، ويخشون أن تستفحل، وتنقلب خطرا على مولاي وعليهم.

الملك : مولاهم عبر الأخطار الجسيمة. ولن تقض مضجعه فقاعات تطفو على سطح الحياة في أي مملكة.

الوزير : (مترددا) ومع هذا هناك شؤون وتدابير ضرورية. ان عيد التتويج يقترب.

الملك : (ساهما) سنوات بعدها سنوات. وأنا على هذا العرش!

الوزير : سنوات كلها كالسنابل المباركة. سنزين البلاد كعروس، ونقيم أفراحا لم يعرف الناس لها نظيرا. بعض أرباب الأسواق اختار هدايا هذه المناسبة التاريخية. سيقدم سوق الصاغة تمثالا للملك من الذهب والأحجار الكريمة. وسوق الحرير سيكسو الموكب بـ..

الملك : (يقاطعه محتدا) هل تحاول أن تبهرني؟ أم أن الملك لا يستحق هذه الهدايا الهزيلة؟

الوزير : معاذ الله!

الملك : كم عرفت هذه البلاد ملكا مثلي؟

الوزير : حتى ولو فكرنا بالمؤسسين الأوائل، فإن كل الذين سبقوك يبدون ظلالا شاحبة، تتقلص أمام نورك الوهاج. أي ملك استطاع أن يحفظ هذا العرش كل

هذه المدة! أي ملك أنعش هذه البلاد بعد طول اختناق! أي ملك أمن هذا الاستقرار وحقق هذا الازدهار! أي ملك كان مثلك ملكاً!

الملك : كثيرا ما أشعر أن هذه البلاد لا تستحقني. (لحظة) ميمون.. يمكن أن تغار الملكة نفسها من رقة أناملك.

ميمون : ترق الأنامل حين تلامس جوهرة ثمينة.

الملك : (يحاول أن يسحب يده) زال الخدر من أصابعي.

(يستمر ميمون في تدليك الأصابع بتدلُّه).

الملك : (يسحب يده بعنف) يكفي!

ميمون : (ينتفض ويتراجع خائفا).. عفوك يا مولاي.

الملك : (ينهض عن العرش، ويهبط المرقاة) آه.. ما أشد ضجري واعتلال مزاجي أيها الوزير!

الوزير : لا عكر الله لك مزاجا. لماذا لا تدخل إلى جواريك، وعندك منهن المئات. كل واحدة بديعة التكوين والجمال.

الملك : دعني من الجواري. كمن يغوص في رغوة الصابون. أحيانا أشعر أني أضاجع نفسي.

الوزير : والمحظية الجديدة ريحانة!

الملك : ربما لم يبق سواها. ولكن ليس الآن.. ان ضجري أثقل من جبل.

الوزير : الأمير وردشاه عنده حفلة أنس هذه الليلة. سيحتشد لديه معظم الأمراء وأرباب الدولة. قد يسر مولاي أن

يكون درة المجلس، وتكون مناسبة طيبة للمداولة في جو من الأنس واللطافة.

الملك : أعرف هذه الحفلات.. سأقضيها في مناقشة أمور السياسة والمصالح.

الوزير : هل أنادي معلم الشطرنج؟

الملك : أعرف أني سأهزمه.

الوزير : هل أنادي الندمان؟

الملك : صارت فكاهاتهم ممجوجة. آه.. يزداد ضيقي كلما فكرت أن هذه البلاد لا تستحقني. أريد أن ألهو.. أن العب لعبة شرسة. (يتوقف.. لحظة) لدي ميل شديد إلى السخرية. بالضبط هذا هو ما أحتاجه. أن أسخر بعنف وقسوة.

الوزير : لن يقابل الوزير سخرية مولاه إلا بالانحناء والامتنان.

الملك : أنت! لا.. لا يروي حاجتي أن أسخر من وزيري. ما أحتاجه هو سخرية أعنف وأخبث. أريد أن أعابث البلاد والناس.

(يتمشى مفكرا. يتوقف فجأة، يلتفت إلى ميمون الذي يقف على الباب) ميمون.. يمكنك أن تختفي.

ميمون : (وهو ينسحب) أمرك مطاع يا مولاي.

الملك : اسمع.. ما قولك بالنزول إلى المدينة؟

الوزير : هذا ما كنت أتوقعه وأخشاه. أرجوك يا صاحب الرفعة أن تجد تسلية أخرى.

الملك : لا أريد تسلية أخرى. لماذا يستبد بك القلق كلما خطر لي أن أقوم بجولة في المدينة؟

الوزير : لا أدري.. ليغفر لي مولاي. ولكن هذه الجولات التنكرية لا تثير في نفسي الارتياح. تظل أعصابي متوترة حتى بعد أن نعود.

الملك : أتخشى أن يطير العرش ومعه الوزارة؟

الوزير : أي خائن يجرؤ! لا.. بعيدة عن ذهني هذه الخواطر، إلا أن العامة كالضفادع لا تمل النقيق. أما لاحظت.. لم نلتق في جولاتنا السابقة إلا من يشكو أو يتظلم. وألسنة الجاحدين طويلة أخشى إن أصاب مولاي شيء من رذاذها المسموم، أن يتعكر مزاجه، أو يشتعل الغضب في صدره. ان التقارير الأمنية تحمل إليك المدينة عارية إلى هذه القاعة. كل الجريات والاتجاهات، والأفكار. فلماذا تعرض شخصك السامي للاحتكاك بالزنخ والوسخ؟

الملك : لأن ذلك يرفه عني أحيانا.. عندما أصغي إلى هموم الناس الصغيرة، وأرقب دورانهم حول الدرهم واللقمة، تغمرني متعة ماكرة. في حياتهم الزنخة طرافة لا يستطيع أي مهرج في القصر أن يبتكر مثلها. واليوم.. هناك شيء آخر.. أنا أيضاً لي ابتكاري. أريد أن أعابث البلاد والناس. منذ أن التمعت الفكرة في ذهني،

بدأت الحيوية تدبّ في أوصالي. أيها الوزير.. أحضر لنا الثياب التنكرية.

الوزير : أهي حقا رغبة الملك السامية؟

الملك : بل أمر ملكي لا يقبل جدلا أو مماحكة.

الوزير : (يبدو عليه الضيق) سأحضرها في الحال..

(يخرج الوزير باتجاه الخدع، يمشي الملك متوترا، وهو يفكر..).

الملك : (يبتسم وعيناه تبرقان) ستكون اللعبة شرسة ومبتكرة. وسأضحك. أضحك وأضحك حتى تنردم هذه الفجوة المعتمة من الضجر. (يبدو عليه الاهتياج، يدق الأرض بالصولجان).. وربما أوردت شيئا عنها في خطاب الاحتفال.

ميمون : (يهرع ملبياً الدقات) طوع الإشارة أيها المهاب.

الملك : ميمون.. أحس توترا في أصابع يدي.

ميمون : (يمسك اليد الممدودة بلهفة وانتشاء) أذوب كي تسترخي هذه الأصابع الوضاءة.

الملك : يبدو أني سآوي إلى مخدعي مبكرا هذه الليلة.

ميمون : نوما هنيئا، وأحلاما كلها يُمن وخير.

الملك : إذا سألت عني الملكة، أخبرها أني متعب، ولا أريد أن يقلقني أحد.

ميمون : لن أخطىء في تبليغ الأوامر.

الملك : ومع بزوغ الشمس أيقظني، وأنت تدلك قدمي. كن حذرا. لا أريد صحوة خشنة أو مباغتة.

ميمون : سأتحول هبة نسيم.

(يظهر الوزير عائدا. يلمحه الملك).

الملك : والآن.. يمكنك أن تختفي.

ميمون : (وهو ينسحب) أمرك مطاع يا مولاي.

الوزير : لو أن سيدي يبدل رغبته!

الملك : هل استراحتك النهرية جاهزة؟

لوزير : دائما جاهزة لاستقبال مولاي.

للك : ستأمرهم أن يحضروا كل شيْء، ينصرفوا. هل تعرف أين سنذهب؟..

الوزير : كل استراحاتي جاهزة. نذهب أينما شئت.

الملك : أتذكر ذلك الرجل الذي وعدناه مرة، أن نقضي معه سهرة أنس وطرب؟

الوزير : الرجل المغفل الذي يحلم بالسلطان، والانتقام من خصوم كثيرين..

الملك : هو بذاته. ما اسمه..؟

الوزير : أظن.. أظن أبو عزة المغفل.

الملك : سنذهب إليه الليلة. وسترى أي تسلية يخبىء لك الملك. هذه المرة أريد تنكرنا كاملا. ميمون يظن أنني أويت إلى فراشي. لن نخبر أحدا على الاطلاق. سنمضي عبر الدهليز السري الذي يقود بعيدا عن السور.

الوزير : ألن يتبعنا حارسان أو ثلاثة؟

الملك : لا أحد على الاطلاق.

الوزير : في المرات السابقة، كان يتبعنا الحراس من بعيد. الحذر يا مولاي واجب.

الملك : قلت لا أحد على الاطلاق. ساعدني في خلع ردائي.

(الوزير يساعد الملك في خلع الرداء الفضفاض، الثقيل بطرزاته.. الملك يتعرى تدريجيا..).

الوزير : ماذا يحس مولاي، حين ينزلق هذا الرداء المهيب عن كتفيه؟

الملك : قليلا من الخفة.

الوزير : ولا شيء آخر؟

الملك : أي سؤال! طبعا لا شيء.

الوزير : (وهو يخلع رداءه بدوره) أما أنا فدعني أعترف. حين أخلع ردائي أشعر نوعا من الرخاوة تدب في بدني. قد تهزأ مني، ولكن هذه هي الحقيقة. تخور ساقاي، أو تصبح الأرض أقل صلابة.

الملك : اعتقد أنك لن تعيش إلى غدك لو ضاعت منك الوزارة. أيها سروالي؟

لوزير : ذو الشريط الذهبي.

(يستمران في تغيير ملابسهما مع اظلام تدريجي).

## فاصل (١)

لافتة: «محكوم على الرعية أن تعيش الآن متنكرة».

(في المدينة. زاوية في طريق منزوية وشبه معتمة. عبيد مقوس الظهر، بارز الحدبة، يقف متوكئا على عصاه. يبدو أنه ينتظر. يتطلع حوله حذرا ومترقبا. بعد فترة يأتي الحمال زاهد..).

عبيد : خفت أن تتوه، ولا تعرف المكان.

زاهد : (يتملاه بمرح) بعرضي وأولادي لو مررت بك في شارع عام لما عرفتك.

عبيد : المهم ألا يعرفني عسس وجواسيس مقدم الأمن.

زاهد : (يحدق إليه أكثر) وهذه الكدمة!

عبيد : لا.. هذه حقيقة. هل تبدو بارزة؟

زاهد : زرقاء ومتورمة.

عبيد : اذن فهي لمسة إضافية نافعة.

زاهد : لم تتورط في مشاجرة؟

عبيد : لا.. هي قصة أشبه بالنكتة. لم أستطع أن أضبط يدي في سوق الخضار. كان التفاح منضداً في الصندوق أحمر وشهيا. ظننت أن البائع لا يراني. ولكن ما ان دسست التفاحتين في الجراب، حتى هجم علي كضبع شم رائحة الجيفة. خفت أن أجرى فينكشف أمري، وخفت أن

أبقى فتأتي الشرطة. في النهاية استسلمت لضربات حذائه حتى أشفق علي بعض المارة، وأبعدوه عني. (يبتسم) مع هذا، استطعت أن احتفظ بتفاحة.

زاهد : أتخاطر من أجل تفاحة؟ تصوّر لو قادوك إلى التحقيق وعرفوا أنك من يبحث عنه مقدم الامن؟.

عبيد : ان البنية غالية. فكرت فيها عندما مددت يدي. أنت تعرف.. لولاها لما وجدت زاوية التجىء إليها. ببوت الاخوان لا تصلح. والجامع ليس مأمونا بعد أن كثر فيه المتخفون من رجال الأمن.

زاهد : مهما كان.. في مثل وضعك حركة متهورة صغيرة قد تؤدي إلى عواقب خطيرة.

عبيد : لا أدري.. تذكرتها فوددت أن أحمل لها تفاحة. لولاها لكان وضعي صعبا للغاية. هي التي أقنعت أمها بايوائي. تعاملني بمودة وترغب كثيرا في أحاديثي. أحس عندهم طمأنينة لا يعكرها إلا ذلك الخادم. أصبح يثير القلق. يبدي نحوي نفورا شديدا، ويغضبه أن يعطوني مأوى. أتحاشاه قدر ما أستطيع، لكن أخشى أن يدبر لي بعض المتاعب.

زاهد : ألم تنجح في استمالته؟ أتصور أن أمثاله لا يمكن الا أن يكونوا معنا.

عبيد : أكاد أؤمن أن من الصعب الاعتماد على الخدم. انهم يمثلون حالة خاصة ومعقدة. منطقيا ينبغي أن يكونوا

معنا. ولكنهم في الحقيقة ليسوا معنا. حياة أسيادهم تفتنهم، وتلقيهم في حالة مستمرة من عدم التوازن. انهم ينوسون بين الطاعة الذليلة والرغبة السرية في أن يصبحوا نسخا عن سادتهم. ولكن لم نلتق لنناقش هذه المسائل. ماذا تحمل لي؟

زاهد : استطعنا أن ندبر مكانا مستورا، يمكن أن نلتقي فيه جميعا بصورة دورية.

عبيد : خبر طيب. صارت الحاجة ملحة لتنظيم لقاءاتنا. هل استطعت أن تمر على الجميع؟

زاهد : تقريباً.

(يظهر رجل من زاوية قصية، يلمحه عبيد، فيلكز زاهدا ويغير وضعبته).

عبيد : الله يحمي شبابك. الله يخلي أولادك.

زاهد : (ينتبه للرجل، وينخرط في اللعبة) وأنت (يقلده) الله يرزقك.

(يبتعد زاهد عابثا، ثم يلطي بعبدا.. بينا يقترب الرجل من عبيد).

عبيد : (يرفع عقيرته، مجودا بصورة رديئة) والحسنة كحبة أنبتت سبع سنابل.

(يحاذيه الرجل، فيتتبث بطرف سترته).

الرجل : أف.. اترك سترتي.

عبيد : الله يخلي أولادك.. الله يجعل طريق الخير مفتوحة أمامك.

الرجل : (يدفعه متذمرا) قلت اترك سترتي.. (وهو يبتعد) سنعيش ونراكم تتسولون بالمدى والخناجر.

(يعود زاهد).

عبيد : أرجو ان هذا اليوم ليس ببعيد.

زاهد : أي يوم!

عبيد : تنبأ الرجل اننا يوما ما سنتسول بالمدى والخناجر.

زاهد : يومها فقط ينقرض التسول.

عبيد : وينتهي تاريخ طويل من التنكر الشاق. علينا أن نعجل. اقترب موعد الأذان، وقد يزداد المارة. ماذا تم؟

زاهد : كان هناك اجماع على الرسالة. أخذها عبدالله كي يخط النسخ المطلوبة. وعشية يوم التتويج ستكون جاهزة.

عبيد : والتوزيع!

زاهد : دبرنا أيضاً مسألة توزيعها في معظم أحياء المدينة. ولكن نفراً من الاخوان أبدى تحفظا حول الموقف الذي اتخذناه.

عبيد : لماذا؟..

زاهد : يعتقدون أن عبد التتويج مناسبة مواتية لعمل أكبر.

عبيد : أي عمل! أن يهتفوا بسقوط الملك، ويذهبوا إلى السجون بالجملة؟

زاهد : رأيهم أن هناك شعورا عاما بالخيبة والعسر. وأن أي مبادرة منظمة ستفجر هذا الشعور وتوضحه. من جهة

يتزعزع الاستقرار الملكي ومن جهة أخرى يولد مناخ أخصب لنشاطنا.

عبيد : صحيح.. هناك شعور عام بالخيبة والعسر. التذمر يشتـــد، والنـــاس يطحنهم البؤس والخوف. لكن التناقضات لم تنضج بعد. أقول لك.. وأرجو أن تبلغ الاخوان الذين تحفظوا ما أقوله، أمام الملك الآن طريق وحيدة مفتوحة هي الارهاب، والمزيد من الارهاب.

زاهد : ألا يمكن أن تكون بعض الإجراءات الإصلاحية التي تخدر هي الأخرى طريق مفتوحة؟

عبيد : لم يعد ذلك مجديا. ليس أمام النظام الآن حتى لو تغير الملك الا طريق وحيدة ممكنة هي الإرهاب. فهل نعطيه الذريعة، ونقدم أنفسنا الضحية.

زاهد : وإذا انفجرت بعض الاضطرابات العفوية؟

عبيد : نفيد منها دون أن نخاطر بأي من عناصرنا. بم هذه المرحلة يجب أن ننظم السباق بشكل محكم. هم يمعنون في الإرهاب، ونحن نمعن في التنكر. التناقضات تنمو، وحركتنا تشتد. ينبغي أن نتواقت مع اللحظة المواتية، لا نبكر ولا نتأخر. (يلمح رجلين يأتيان من طرف قصي، وبعد لحظة يتناهى من بعيد جدا صوت مؤذن). لدي أيضاً ما أقوله. ينبغي أن ننظم عملنا في المدابغ. ولكن الوقوف هنا غير مأمون.. بعد غد عند المقبرة الشرقية. الله يخلي شبابك.

(يتظاهر زاهد بأنه يعطيه صدقة).

زاهد : مع الغروب.

(يبتعد، ويقترب الرجلان).

عبيد : يا محسنين.. صدقة لصاحب العاهة، حماكم الله من كل عاهة.

(اظلام)

## المشهد الثاني

لافتة: « الواقع والوهم يتعاركان في بيت مواطن اسمه أبو عزة ».

(بيت أبي عزة. طراز عربي. دار واسعة في صدرها بابان يفضيان إلى الغرف. على اليمين باب عريض يفضي إلى الطريق. عزة تشعل قنديلين معلقين في الجدار.. ثم تذهب إلى الزاوية اليسرى حيث تكومت حشية بالية. تفرشها على الأرض، وتسويها بعناية.. يقترب عرقوب من ورائها).

أبو عزة : (من الداخل. يتناهى صوته أجش خافتا) الآن آن القهر للحساد ما دمت سلطان البلاد.

عرقوب : هل نادتني ذات البهاء والكمال؟

عزة : (تفاجأ. بجفاف) لم اناد أحدا.

عرقوب : كأني سمعت صوتا أرق من أوتار العود ينادي عرقوب.

عزة : إنك تتوهم.

عرقوب : ألا يأمرني الجميل خدمة؟

عزة : لا أحتاج شيئا.

عرقوب : ينفطر قلبي حين أراك تلوثين يديك بأوساخ ذلك الأحدب.

عزة : لا عليك من يدي. ولا تذكر الرجل بسوء.

عرقوب : سبحان الله.. لم تهضمه معدتي.

عزة : وما شأنك به؟

عرقوب : منذ حل في هذا البيت، لم أعد أرى كحيل الطرف الا ساهيا أو غافلا. تحيطينه بالرعاية وكأنه رمى عليك سحرا. ومن يدري.. لا أستغرب أن يكون ساحرا ماكرا.

عزة : عرقوب.. أشفق على الرجل وعاهته.

عرقوب : عاهته! وعاهتي أنا من يشفق عليها؟

عزة : ماذا تشكو؟..

عرقوب : ويسألني الذي ملك الحشاشة والفؤاد: ماذا أشكو؟ ألا تعرفين شكوتي؟ لديّ حدبة أكبر من حدبته: انها هنا تبرز في صدري، وتقصِّر لي قلبي.

عزة : (تزداد جفاء) هل عدنا؟

عرقوب : أبلاني الصد، وأرّقني طول الجفاء يا عزة.

عزة : قلت مرارا، لا أريد أن اسمع هذا المقال.

(يقترب منها، محاولا لمسها.. في حركاته مبالغة ماجنة).

عرقوب : النار تكوي أحشائي.. ارحمي عذابي وفي هذا القوام دائي ودوائي..

عزة : (تدفعه.. وتشتعل غضبا وضيقا) هل جننت؟

عرقوب : ألا تسلب الرشد هذه الفتنة؟

عزة : أغرب عن وجهي، والا ناديت أبي.

عرقوب : وما نهاية هذا التمنع والدلال؟

عزة : لا أستطيع أن أراك أو أسمعك. انصرف في الحال.

عرقوب : ستكونين لي يا عزة ولو طال الزمن.

عزة : الموت أهون. لو ناديت أبي، فسيطردك بعد أن يكسر العصا على ظهرك.

عرقوب : (يتخذ هيئة عابثة، وفيها لؤم) أبوك يطردني؟ (يغني باستخفاف) عندما يصحو أبوك من الجنون.. ويدفع ما عليه من الديون.. يومها فقط يمكنكم أن تطردوني. وستنتظرين يا فاتنة القوام أكثر مما انتظرت.

عزة : (مقهورة) من أين تغرف هذه النذالة والوقاحة!

عرقوب : من طول الصد والممانعة.. أي نعم، يا جميل، من الصد والممانعة.

أبو عزة : (من الداخل) عرقوب.. أين أنت يا عرقوب؟

عرقوب : وها هو معلمي يجدُّ في ندائي.

(يمضي عرقوب نحو معلمه..).

عزة : (وهي تشد شعرها قهرا) يا رب.. كيف يمكن العيش في هذا الجحيم؟

(تنسحب إلى الداخل، بينما يظهر أبو عزة).

عرقوب : حاضر يا معلمي.

أبو عزة : تعالى.. (يتلفت يمنة ويسرة) سمعت أصواتا. هل عادت المرأة؟..

عرقوب : من.. معلمتي أم عزة؟ لا.. لم تعد بعد.

أبو عزة : أين اختفيت؟..

عرقوب : كنت أقضي حاجة عرضت.

أبو عزة : لقد اخترت وقتا سيئا لقضاء حاجتك العارضة. فاتك أن ترى سبدك وهو يرتقي العرش.

عرقوب : العرق يبلل وجهك. هل تعبت يا معلمي؟

أبو عزة : مم؟

عرقوب : من ارتقاء العرش. أتخيل أن العرش عال، وأن معلمي صعد سلالم بعدها سلالم. كلها عمودية وحلزونية. تلتف، وتلتف كسلالم المئذنة.

أبو عزة : ما أخف عقلك يا عرقوب!

عرقوب : البركة في رجاحة عقلك يا معلمي.

أبو عزة : على كل، لا أعتب عليك. عقول البسطاء والعوام لا تستطيع أن تتخيل ارتقاء العرش إلا كالصعود إلى سطح بناية. لو حضرت ورأيت. الحراس على الجانبين كصفين من شجر الحور. وبينهما أتهادى بمشية رخية، كأني أطير، أو أخطو على بساط من الزئبق. رجال الدولة ورائي. والمنشدون أمامي. وحين ارتقيت العرش، انحنت الهامات، وعم الصمت. تلك لحظة جليلة. كمن يشرف على الدنيا من فوق رابية.

عرقوب : وفي اللحظة الجليلة نسيني معلّمي. أهذا جزاء العشرة والخدمة؟ لماذا لم تخبرني أو تؤجّل الاحتفال حتى عودتي.؟

ابو عزة : يا غشيم، في الاحتفالات الملكية، لا يجوز التأخير أو التقديم.

عرقوب : والوزارة لا تقل انها ذهبت حين كنت أقضي حاجة عرضت.

أبو عزة : اطمئن يا عرقوب. لم أسمِّ الوزير بعد.

عرقوب : (يتعلق بعنقه ويقبله) رددت لي الروح يا معلمي. ماذا تنتظر اذن. سمه على الفور. لن تجد في البلاد وزيرا مثل عرقوب.

أبو عزة : ما زلت أتردد.

عرقوب : ولِمَ التردد!

أبو عزة : طبعا أنا بحاجة إلى وزير ينفعني بالمشورة والتدبير. يعتني بهندامي، ويمشي إلى الموت قدامي.

عرقوب : أعوذ بالله.. لا.. لا يجوز أن يمشي التابع أمام السيد. أترسلني إلى الموت من أجل القافية؟

أبو عزة : تلك هي القافية الملكية، أرأيت لماذا أتردد؟ آقدر فيك الهمة، ولكن أخاف ألا تصلح للوزارة. ان الأصل يحول بينك وبينها. الوزير ينبغي أن يكون من أصل كريم، يجمع الحسب والنسب إلى الجاه والذهب. أما أنت.. ولا تزعل من كلمة الحق، لست في النهاية الا واحدا من الدهماء.. أو إذا شئت من عوام الناس.

عرقوب : الدهماء والعوام! وأنت! هل تتدلى من شجرة تمتد جذورها إلى بيت أبي عبدالله... أم تجلس فوق رابية من الذهب والجاه؟

(يتظاهر بالابتعاد..).

أبو عزة : أنا! أتتحدث عني أنا! أين تمضي؟

عرقوب : سأفتش عن أصلك وأصلي.

أبو عزة : تعال.

عرقوب : دعني.

أبو عزة : معلمك يأمرك أن تأتي.

عرقوب : ماذا تريد؟

أبو عزة : اقترب.. تتحدث عن أصلي وجاهي! انظر اذن إلى وجهي. تأمل قسماتي وعينّي. وقل لي ماذا ترى (عرقوب يطبق بيديه على أذني أبي عزة. ويدير وجهه يمنا وشمالا بفظاظة) تمعن جيدا يا عرقوب.

عرقوب : ماذا أرى؟ ماذا أرى؟.. أرى عينين زائغتين يسكنهما عفريتان وحاشبة من الجان.. أرى جلدا أغبر يرشح من ثقوبه المرض الأصفر.. أرى لحية شعثاء..

أبو عزة : (متألما وغاضبا) دع لحيتي، وحدثني عن الأمارات.

عرقوب : الأمارات! لا ألمح إلا امارات العلل ودنو الأجل.

أبو عزة : (ينتزع وجهه، ويدفعه بغضب) أطفأ الله نور عينيك. والأمارات الملكية؟ ألم تلمحها! انظر. انها كالنجوم الزاهرة تتلألأ على الوجنتين، وتشع من المقلتين. طالعتني في المرآة، فأعشت بصري.

عرقوب : الدهاء لا تستطيع أن تميز هذه الأمارات.

أبو عزة : الآن فهمت.. أعماك الغضب اذن! لم أتوقع أن تزعل من كلمة الحق إلى هذا الحد. أنت تعرف نفوري من العوام والزحام. روائحهم في السوق تخنقني، وملمسهم يسبب لي حكة في جلدي. ومع هذا سأضحي من أجل العشرة والخدمة. أصغ إلي جيدا يا عرقوب. قررت الارادة الملكية أن تكون الوزبر.

عرقوب : آه.. اسندني يا معلمي. سغمى علي من الفرح.

أبو عزة : تمالك نفسك.

عرقوب : لا يصبح المرء وزيرا كل يوم.. (يتأمل وجهه) الأمارات يا مولاي.. الامارات!

أبو عزة : مالها!

عرقوب : أراها تندفع من وجهك كالنيازك والشهب. سأمسك واحدا ولو لسعتني ناره.

أبو عزة : أتراها؟

عرقوب : منذ أن صرت الوزير.

أبو عزة : لن أندم على قراري، إذا تابعت على هذا المنوال.

عرقوب : اعتمد علي. والآن بمن نبدأ التعذيب والانتقام؟ بالشيخ الخؤون أم بشهبندر التجار الملعون!

أبو عزة : كل الخصوم سنصلبهم عذاب الجحيم. ولكن قد تكون المسرة مضاعفة، لو أخذنا أولا قسطا من النشوة. (يدندن).

انني ما دمت حيا عاشق الكاسات
من تعاطى منها شيا في الدجى ما مات

(يتوقف، ويلتفت إلى عرقوب) عرقوب.. ألن تودع شيئا في بيت المال؟

عرقوب : وصلنا بيت القصيد. لم يبق لدي ما أودعه ببيت المال.

أبو عزة : أتدخل الوزارة خالي الوفاض؟

عرقوب : لا.. دعنا من الإمارة والوزارة ما دمنا قد وصلنا إلى المال.

أبو عزة : هل تشك في أمانة معلمك يا عرقوب؟

عرقوب : معاذ الله.. ولكن معلمي في وضع لا يسمح له أن يرد إذا أخذ.

أبو عزة : عندما تبصر جاهي ونعيمي ستندم على هذا القول الذميم. كم بلغت ودائعك حتى الآن؟

عرقوب : هو.. هو.. هذه حسابها يطول، ولكن كلها مسجلة حسب الأصول.

أبو عزة : اذن.. أضف بعض النثريات.. وهات كي نسجلها حسب الأصول.

عرقوب : (يقفز متظاهرا بالتنصت) هش.... سمعت وقع أقدام تقترب. لا شك أنها معلمتي أم عزة تعود.

أبو عزة : (يجذبه من ثوبه) تعال.. أستطيع أن أشم رائحتها قبل أن تسمع وقع أقدامها. لا تحاول أن تتملص.

عرقوب : ولكنها حذرتني ألا أعطيك شيئا. أنت معلمي، وهي معلمتي. ولا أدري أي واحد منكما أطيع

أبو عزة : ماذا؟ أتتردد بين طاعتي وطاعتها! من السيد في هذا البيت يا عرقوب؟

عرقوب : لا تزعل. أحيانا أقول أنت. وأحيانا أقول هي. على كل لا أحشر نفسي في هذه الشؤون الداخلية. أنت معلمي. وهي معلمتي. وأستطيع أن اوزع الطاعة بينكما بالعدل والقسطاس.

أبو عزة : لو انفجر غضبي، فسيهوي على رأسك كالنوازل. انك تهين معلمك الذي استكراك ورباك. أنا السيد في هذا البيت، وأنت لا تدين بالولاء إلاّ لي.

عرقوب : وحق أبيك هذا يسرني. هل قررت أن تمسك الزمام بيد من حديد؟

أبو عزة : بل من فولاذ.. سأقول لك سرا. عندما ارتقيت العرش، أحسست أن الفوضى تحيط بي، وأن الحزم ضروري.

عرقوب : دعنا من العرش يا معلمي. هل أعتبرك منذ اليوم الأمر الناهي في هذا البيت؟

أبو عزة : ولا أحد سواي.

عرقوب : وكلمتك عند أهله لا تصبح اثنتين؟

أبو عزة : أهدم البيت على أهله أن صارت اثنتين.

عرقوب : آه.. هذا هو معلمي الذي أعرفه. انك تسهل علي القضية. بيننا لا يصعب التفاهم. لقد حان الوقت كي أفاتحك بالأمر.

أبو عزة : أهو أمر خطير؟

عرقوب : عليه يتوقف هنائي وشفائي. وهو فوق ذلك يهمنا جميعا. ولكن أتمنى لو يعدني معلمي بالموافقة على المطلوب.

أبو عزة : هات مطلوبي أولا كي نحسن الاصغاء ونحقق لك الرجاء.

عرقوب : أليس الأفضل أن ننهي الموضوع؟ دعنا نغتنم فرصة هذا الجو الرائق. لم أعد أضبط لهفتي. انه شأن من شؤون القلب يا معلمي. وكلمة منك ستجعل عرقوب يحلق في السماء السابعة.

أبو عزة : وهو شأن من شؤون القلب! هل يمكن تعاطي شؤون القلب الا مع تعاطيها! أضف بعض النثريات على

الحساب، وهاتها قبل أن تحلق، وتختفي في السماء.

عرقوب : (يسحب دفترا صغيرا وقطعة قلم معلقة برقبته) مشينا ومشينا فلنتابع حتى النهاية. سأسجل ثمن نصف زجاجة.

أبو عزة : لا أحب الوسط، وأفضل التام.

عرقوب : نصف زجاجة لا غير. وقع هنا.

أبو عزة : الختم أسهل.

عرقوب : والتوقيع بالنسبة لي أفضل.

أبو عزة : كما تشاء (يوقع) ها نحن ندفع ثمن البضاعة قبل الاستلام.

عرقوب : (وهو ينتزع الدفتر منه، ويمضي ليحضر الشراب)هـ.. ويتحدث عن الدفع أيضاً! شفط كل وفري فلسا وراء فلس. وان لم أنل مرادي فسأطلق صيحة أبشع من صيحة شمشون. لن تفلتي من الشبكة يا عزة.

أبو عزة : لا تتأخر في السوق يا عرقوب. (يلتفت إليه عرقوب. يهز رأسه ثم يمضي) آه.. الآن آن القهر للحساد ما دمت سلطان البلاد. (يدور بسرور وهو يغني) أنقش الختم على بياض.. فينقضي أمري بلا اعتراض (بعد فترة يتوقف. يلعب.. ينغمر في اللعبة، ويقودها بجد وحرارة) ماذا أرى! أتاني إلي راكعا! وتبكي هلعا! أكاد لا أصدق عيني! الشهبندر الكبير ما غيره يذرف الدموع توسلا وهلعا! (يضع قدمه خيالا على كتف رجل راكع) أما حلفت بالطلاق وأمام أرباب السوق، انك ستدمر تجارتي، وتلقيني عريان خارج السوق! ماذا! تقدم المعذرة، وتعلن أمام أرباب السوق أنك نادم على هذه الدناءة. هل ظننت أنك انتهيت مني يوم أشهرت إفلاسي، وتخاطف الدائنون حتى لباسي! ها نحن نلتقي

ولكن في ظرف اعتدل فيه الميزان. أنت تركع متوسلا، وأنا أتمهل في انتقامي متلذذا. لا يا شيخ طه. لا تحاول أن تتستر متخفيا وراء مسبحتك. المسبحة أم التسعمئة والتسع والتسعين حبة. أراك هناك خلف خلان السوء الذين باعوني حين حلت محنتي. ورموني فوق هذا بالجنون. ها أنتم جميعا أمامي ومصيركم معلق بطرف لساني. كان الشيخ هو البادىء، ثم تلاه الشهبندر والخلان. تكاتفتم على خرابي ودماري. بعد الوجاهة وبحبوحة العيش، سقطت إلى درك العوام من الناس، وأجبرت على معاناة العسر والعيش كالرعاع في عوز وفقر. كان مكاني بينكم، فضقتم بي. تناهبتم المكان. والقيتموني إلى الهوان. ولكن ها نحن نلتقي وقد اعتدل الميزان. سيكون انتقامي عسيرا. لا .. لا تتوسلوا، فات وقت الندم. (تظهر عزة، وتقترب من أبيها. على وجهها آثار الدموع) الآن وقد أصبحت مولاكم..

عزة : أأنت وحدك يا أبي!

أبو عزة : بل مع الأعداء يا ابنتي.

عزة : أبي!.

أبو عزة : لا تطلبي مني أن أشفق عليهم. سأنتف لحاهم، وأمزق جلودهم.

عزة : أرجوك أن تصغي إلي.

أبو عزة : دعيني أشفي غليلي. لولاهم لكنت الآن درة في قصر أمير.

عزة : (منفجرة) لا أريد قصرا أو أميرا. لا أريد خدما أو حشما. لا أريد شيئا.

أبو عزة : (يتوقف. كأنه يستيقظ) ما بك يا بنية؟

عزة : (تحملق فيه، وكأنها تحملق في الفراغ) لا شيء.. لقد تأخرت أمي. هبط الليل ولم تعد بعد.

أبو عزة : لا أظن أن هناك ما يقلق. تعرفين.. إذا فتحت أمك السيرة، وبدأت التحسر فإنها لا تنتهي قبل أن تصرع السامعين.

عزة : ذهبت من أجلنا يا أبي.

أبو عزة : وأنت أيضاً يا عزة! تكفي أمك كسرت هامتي من كثرة ما غمزت ومننت.(ساهما وحزينا) الناس يصفونني بالمغفل، ويقولون إني أعيش من سعي امرأتي ولا أخجل.

عزة : والله لم أعن ذلك.

عرقوب : (يدخل مدندنا) من تعاطى منها شيئا.

أبو عزة : (يستعيد حيويته) في الدجى ما مات (جادا.. لابنته) لا تقلقي يا بنبتي. ستعود بين لحظة وأخرى.

عرقوب : (متجها نحو عزة) ألا تأمرني معلمتي خدمة؟

(تنفر عزة مبتعدة.. يتبعها عرقوب خطوة أو خطوتين.. يجذبه أبو عزة).

أبو عزة : هاتها يا عرقوب.

عرقوب : ها هي.. معتقة صهباء. حصلت على مطلوبك، وبقي مطلوبي. ستعيرني أذنا صاغية. وإذا كانت معلمتي عزة قد ألحت إلى شيء، فلندخل إلى الموضوع مباشرة.

سنتحدث رجلا لرجل، ولن يصعب علينا التفاهم.

أبو عزة : بل سنتحدث معلما لخادم يا عرقوب (وهو يفتح الزجاجة) لا داعي للأقداح. أحب أن أحسو من الزجاجة وهي ملأى. (يدندن) هات المدام، وارم الكاسات.. يا للا.. يا للي.. (يرفعها لبحتسي منها. يتجمد، يوقع كلماته بيده الأخرى) وصلت.. انها تدلف من الباب.. انها تدخل.. يا للي..

(يغمض عينيه، ويعب من الزجاجة، بينما يلتفت عرقوب مرتبكا، وخائفا؟

عرقوب : (بغيظ) ضاعت الفرصة. ولكن اتساءل من هو المغفل بيننا؟

أم عزة : لا ينقصنا بعد إلا الطبل والزمر. ماذا يهمك! عمر البيت. وفاضت علينا النعم.

أبو عزة : التقطي أنفاسك أولا.

أم عزة : وهل تترك لي مجالا لالتقاط الأنفاس؟ أنا أريق ماء وجهي في بيوت الناس. وأنت تجلس في البيت، تكرع الخمر هانىء البال. كيف حصلت على هذا السم الهاري؟

(تنضم عزة إليهم).

أبو عزة : رماه حمام زاجل فوق المنزل.

عرقوب : (مواريا ارتباكه.. ومندسا بأبي عزة) هذه لطيفة.

أم عزة : (تهاجم عرقوب..) عرقوب..

عرقوب : من السوق يا معلمتي.. من السوق.

أم عزة : والنقود؟ من أين النقود؟ أهناك دائن جديد سيدق بابنا!

عرقوب : (همسا، وهو يلكز أبا عزة بحنق) معلمي السيد الآمر الناهي.

أم عزة : (تمسك بخناق عرقوب، وتهزه) ماذا تدمدم؟ أجبني. لن يدق بابنا دائن جديد!

عرقوب : لا.. هو الدائن القديم ذاته.

أم عزة : من تعني..

عرقوب : أنا يا معلمتي.

أم عزة : (كأنها تريد خنقه) ألم أحذرك ألا تعطيه شيئا؟ من أين يدفع لك؟ من أين سنوفيك؟.. من أين سنوفي كل هؤلاء الدائنين؟

عرقوب : (يحاول التخلص من بين يديها) معلمي.. انجدني يا معلمي..

أبو عزة : (وهو يجرع من الزجاجة) اتركي وزيري يا امرأة.

أم عِزة : (تفلت عرقوب، وتلتفت إلى زوجها. تمسك به) وأنت. أتدفعني إلى الجنون. دمرت حياتنا، وخربت ديارنا، وتريد أن تدفعنا أيضا إلى الجنون؟

عزة : (تحاول أن ترد أمها) أمي.. ماذا أصابك؟

أبو عزة : هات العصا يا عرقوب.

أم عزة : نعم هات العصا يا عرقوب. إما أن تعدمني، أو أجعلك تثوب إلى رشدك. هـذه المرة يجـب أن تصحو، وتستوعب ما أقوله.. سيضيع آخر ما لدينا، وهو مأوانا.

(عزة تحاول أن ترد أمها وتهدئها.. وعرقوب يحاول تنحية أبي عزة).

أبو عزة : العصا يا عرقوب.

عزة : سأقتل نفسي ان لم تتوقفا.

عرقوب : امسح وجهك بالرحمن يا معلمي.

عزة : (وهي تحتضن أمها).. أمي.. ماذا جرى؟.

أم عزة : (تنهار مع ابنتها..) قلبي متورم كالدمل يا ابنتي. انهد حيلي وأنا أغالب المصائب وحيدة. (يدق الباب.. يهرع عرقوب.) هوينا. ولن يمد أحد يده إلينا. أمضيت النهار كله عند خالك. أخي من لحمي ودمي. تشقق لساني وأنا استحلفه بالأم والأخوة والدم. لو كان صخرا للان. لكن أخي لم يلن.. ولم يهتز له جفن.

عرقوب : (لأبي عزة بصوت هامس) معلمي. انها الحاج محمود والحاج مصطفى. جاءا بعد طول تأخير.

أبو عزة : (مضطربا) لا الجو رائق، ولا المزاج مناسب.

(يدلف الملك وقد ارتدى ثيابه التنكرية، وتسمى بالحاج مصطفى. يتبعه الوزير في ثيابه التنكرية واسمه الحاج محمود.. ينزويان قرب الباب..).

أم عزة : تصوري يا عزة.. ساومني أخي على البيت. أخي من أبي وأمي يريد أن يسلبنا مأوانا، ويرمينا إلى العراء. أصبح الدم ماء، ولا أحد يستطيع أن يعتمد على أحد. (منتفضة إلى زوجها) أتسمعني؟ هذه المرة يجب أن تفتح اذنيك جيدا. اننا ذبيحة وقعت، وليس حولنا إلا السكاكين.

عرقوب : (يحاول أن ينبه أبا عزة إلى دخول الضيفين) معلمي.

أبو عزة : السكاكين ستتحول رايات خفاقة. وعندما أصبح سلطان البلاد، سأعرف كيف أعامل هؤلاء الأوغاد.

عرقوب : انها في الدار.

أم عزة : (تهاجم زوجها) لا .. ما عادت لدي قدرة على الاحتمال: ارم هذه الزجاجة من يدك.

أبو عزة : (هاربا منها) العصا .. أين العصا؟..

أم عزة : ارم هذه الزجاجة من يدك، وأفق من جنونك.

أبو عزة : (يتوقف أمام مصطفى ومحمود. يتماسك. بغير الموقف) أهلا بالحاج محمود والحاج مصطفى. شرفتما الدار، وان كان الجو مشحونا بالغبار.

مصطفى : والله ظرفك يبدد الكدر والغبار.

أم عزة : (هي الأخرى توقفت. ترمق الضيفين بفضول) ومن هذان الرجلان أيضا؟

عرقوب : انها الحاج محمود والحاج مصطفى. زارانا مرة من قبل (يغمز هامسا) ولم يبخلا بالنصح والبذل.

أم عزة : ادخلي يا عزة.

عرقوب : أي نعم.. الواجب أن تدخلي يا عزة.

(عزة، ترشقه بنظرة حنق مقهور، وتنسحب.. يتقدم محمود ومصطفى يحف بهما أبو عزة).

محمود : زرنا هذه الدار مرة، فانشرح الخاطرَ فيها، ودخلت إلى القلب محبة أهلها. وعدنا أن نكرر الزيارة، ولولا

كثرة الأشغال لجئنا قبل الآن. ولكن يبدو اننا صادفنا يوما، حل فيه ما ينغص أصحابنا، ويعكر هناءهم. إذا كان قدومنا يحرج أو يثقل، فإننا نعرف الباب، ولا مجال بين الأهل للعتاب.

أبو عزة : هذا مقال رجل كريم، وصاحب خلق وشهامة. شرفتما الدار، ونحن منذ زمن طويل ننتظر هذه الزيارة.

مصطفى : (بخبث) نأمل ألا تكون هناك أسباب تستوجب الغم!

أم عزة : والله لن أخفي عليك ما دمت تسأل أيها الموقر. أسباب الغم وفيرة في هذه الدار.

أبو عزة : لا تصغيا إليها. امرأة تحب النكد، وتسعى إليه بلا سبب.

أم عزة : تقول أحب النكد؟ وبلا سبب أيضا؟ اه لولا وجود الضيوف.

مصطفى : (وهو يقترب من المرأة) اختي لا تتحرجي. نحن من أهل البيت.

أم عزة : ماذا اقول! قلبي مليء. وهذا الرجل سيدفعني إلى الجنون..

مصطفى : إذا كان بوسع الصديق أن يصلح ذات البين، فلن ندخر جهدا.

أبو عزة : (وهو يتراجع نحو عمود) لا أقبل صلحا، إلا إذا اعترفت لي بالحظوة، وقدمت لي البيعة.

(ينقسمان الآن إلى فريقين. الأول مصطفى وأم عزة، والثاني محمود وأبو عزة، وبينهما عرقوب).

أم عزة : اسمعوا. أهذا كلام رجل عاقل؟

أبو عزة : وتتهمين سلطانك بالجنون؟

محمود : لا تكن سريع الغضب.

أم عزة : ولكن لمن أشكو بلائي؟

مصطفى : خذيه على هواه يا بنت الأكابر.

أبو عزة : مسكينة.! عجوز شمطاء رمت عليها تعويذة، فأودت بعقلها.

أم عزة : كانت مصيبة واحدة، وصارت مصيبتين. أولاد الحرام خربوا دیارنا. وهو اشتدت علیه اللوثة، وضاع عقله في الهلوسة. الحمل ثقيل ولا أعرف لمن أشكو بلائي. آه لو أستطيع أن أقابل ملك هذه البلاد.

مصطفى : ماذا ستقولين له؟..

أم عزة : ماذا سأقول له! على لساني أحمال من الكلام.. سأقول.. سأقول يا ملك الزمان العيارون واللصوص يحكمون البلاد، وينهبون أرزاق العباد. العدل نائم، وليس هناك من يفتش أو يحاسب. الغش رائج، والتعدي سائد. لا سلامة، ولا كرامة، ولا شريعة.. و.. لا.. لا تخف.. لو قابلت الملك، فسأعرف ما أقول له.

مصطفى : لا شك أنك تبالغين.

أم عزة : لينزل، ویر بنفسه. لو كنت أبالغ ما رأيتنا أيها الكريم

على هذه الحال. البيت خرب. ورب البيت عقله مختل.

أبو عزة : ما عيشي مع هذه المرأة النكداء. وعندي ألف محظية حسناء!. عرقوب.. ألم تمد الفرش الوثيرة، وتصف الوسائد المريحة؟

عرقوب : فرش وثيرة، ووسائد مريحة! معلمتي.. انجديني.

أم عزة : انتما شهمان. ولن تعتبا علينا ان لم يكن في الدار ما يليق بالضيف.

أبو عزة : وهات أقداح الفضة. ثم رتب لنا السفرة..

محمود : لا والله. لا داعي للتكليف. جئنا نصحبك معنا. هذه المرة ستكون الضيافة علينا. نريد أن نأنس بوجودك، ونستمتع بطرائفك.

عرقوب : وخادم معلمي!

محمود : وأنت معه أيضاً.

أبو عزة : لولا أنك حلفت يا حاج محمود، لما قبلت أن تكون الضيافة إلا عندي.

أم عزة : بالله علبك ماذا أفعل؟

مصطفى : لدي تدبير. وربما استطعنا مساعدتك.

أبو عزة : من تعاطى منها شيا في الدجى ما مات.

مصطفى : (منتحبا بمحمود جانبا) أعطني ورقة متول مختومة.

محمود : ماذا تريد أن تفعل؟

مصطفى : سنتبح لهذه المرأة أن تقابل الملك.

محمود : ألا يكفي ما أصابنا من لسانها السليط؟

مصطفى : (وهو يتناول الورقة) الصدفة تخدم خطتي والملعوب يتكامل.

أبو عزة : (هامساً لمحمود) لا تؤاخذني يا حاج محمود. صاحبك فيه سماجة، وتنقصه الذلاقة.

محمود : عندما تشملنا الجلسة، وتدور الخمرة، ستكتشف فيه الدماثة.

مصطفى : أختي.. أرجو أن تكوني ممن يحفظون السر. تربطني بالملك صلة، وسأدبر لك المقابلة.

أم عزة : (تشهق خائفة) أقابل الملك؟ وما قلته..

مصطفى : لا عليك.. عديني فقط أن تحفظي السر.

أم عزة : (لا تزال مأخوذة) محفوظ في بئر عميق.

أبو عزة : الصولجان يا عرقوب.

عرقوب : حاضر يا معلمي.

مصطفى : خذي هذه الورقة. تظهرينها غداً للحراس. فيقودونك فورا إلى قاعة العرش.

أم عزة : كثّر الله أمثالك. بدأ لساني يتلجلج. أيمكن أن أصطحب ابنتي، علها تسعفني. وتمدني بالقوة..

مصطفى : لا بأس.

محمود : هل نمضي يا حاج مصطفى..؟

مصطفى : فلنمش على بركة الله. نامي الليلة مطمئنة، ونحن سنصطحب زوجك كي يؤانسنا.

أم عزة : فليحفظكم الباري.

(مصطفى ومحمود يتجهان نحو الباب).

مصطفى : شعرت بالبهجة مع هذه العائلة الظريفة.

(يخرجان.. وفي أثرهما أبو عزة وعرقوب).

عرقوب : معلمي. لنقفل الباب. لا يجوز أن يأتي هذا الأحدب، وليس في الدار إلا الحريم.

أبو عزة : (وهما يخرجان) دعنا منه يا عرقوب.. الفتاة تأمل أن ينالها ثوابه.

أم عزة : (تصيح ببشر) عزة.. عزة.. (تخرج الفتاة إليها) الله كبير يا ابنتي.. هيئي نفسك. هل تعلمين أين سنذهب غداً؟ لن تحزري مهما حاولت. سنذهب إلى القصر، ونقابل الملك.

عزة : الملك!

أم عزة : أي وربك يا عزة.. الملك ذاته. سنروي له كل شيء، ونطلب عدله وانصافه. تعالى نتناول لقمة، ونرتب أمور الغد.

عزة : أمي!

أم عزة : لا تخافي.. عقلي متين ورأسي صلبة. تعالي أقص عليك ما حدث.

(تختفيان.. اظلام..)

## فاصل (٢)

### لافتة:« حكاية عن تاريخ التنكر وسر الجماعة السعيدة ».

(الليلة نفسها. تظهر فقط الزاوية اليسرى التي فرشت فيها الحشية في دار أبي عزة. الإضاءة قمرية مريحة. عبيد يجلس على الحشية، ويسند ظهره إلى الحائط بارتياح. يبدو وهو يخط بانهماك شيئا ما على ورقة. بعد قليل تظهر عزة. يفاجأ ويرتبك. يخفي الورقة، يرفع ظهره عن الحائط متظاهرا بالتوجع.. عزه تحدق إلى ظهره).

عبيد : (بين الارتباك والفرح) ألم تنم الصبية بعد!

عزة : (على وجهها غلالة قاتمة من الكآبة) يجفوني النوم.

عبيد : كآبة هذا الوجه الرقيق تتنافر مع جمال الليلة. ماذا هناك؟..

عزة : (تتحدث بصعوبة). كان اليوم فظيعا وقاسيا، يتملكني الخوف، واحساس بالوحشة.

عبيد : مم؟.. (عزة لا تجيب) أزيحي ما يثقل على صدرك. تخف وطأة الهموم قليلا حين يحكيها المرء.

عزة : لا أدري.. (لحظة، ثم منفجرة) لم أعد أحتمل العيش في هذا الجحيم. بيت لا يسكنه إلا البؤس والجنون. أحس أني أحيا مع أشباح معتوهة في مغارة لا هواء فيها ولا ضوء.

عبيد : ولكن المغارة بيتنا، والأشباح أهلنا، والجحيم مهما دام سيتغير.

عزة : لا قدرة لي على الاحتمال أكثر.

عبيد : في لحظات التعاسة فقط، يشعر الإنسان أنه لم يعد قادرا على الاحتمال. لكن قدرته على الاحتمال لا تنفد. وهو يتحمل أي جحيم لأنه يعرف ولو بالفطرة أن الشقاء لا يمكن أن يستمر.

عزة : ومتى ينتهي الشقاء.. شقاؤنا جميعا؟..

عبيد : آه.. في مثل هذه الليالي الجميلة، وعندما كان لي عمرك، كنت أحس أن قلبي يخفق بخفة. وأني أنتظر بوداعة شيئا ما.. شيئا غامضا ومبهجا.

عزة : تعبت من الانتظار. أحيانا يجرفني الشك، فأشعر بالخوف والوحشة. أحقا سيأتي الذي حدثتني عنه؟

عبيد : يقينا سيأتي.

عزة : ألا تعرف أين هو الآن؟

عبيد : ربما كان في المدينة. وربما لم يكن واحدا فحسب، بل جمعا كبيرا.

عزة : في المدينة! ماذا ينتظر اذن؟ لماذا لا يظهر، فينقي الهواء، ويطرد البؤس، ثم يأتي.. (تتوقف خجلة).

عبيد : (وهو يفتش الكيس) لا شك أن لديهم خطة دقيقة، وسيظهرون عندما تواتي اللحظة. (يخرج التفاحة) أنظري ماذا حملت لك. عندما رأيت التفاح تذكرتك. وددت أن أحمل أكثر. ولكن ما حيلتي؟ السعر غال.

عزة : لا أريد أن تجور على نفسك من أجلي.

عبيد : خذي.. سيبهج صدري أن أراك تسترخين لعذوبة هذا الليل. تقضمين التفاحة بهدوء، وتسرحين مع رؤى جميلة عن الأيام التي ستأتي.

عزة : ما أشد لطفك! عندما أصغي إليك أشعر أن الحياة تغتسل من البشاعة واليأس. (تتردد) ولكنك تحيرني. ان الغموض يحيط بك. منذ يومين.. أرجو ألا تغضب، وتأكد أنهم لو قطعوا لساني لن أبوح بشيء. منذ يومين لم أكن قد نمت بعد، ولحتك وأنت تسوي البقجة التي تبرز في ظهرك.

عبيد : (ساهما) وإذن كشفت سري!

عزة : لا أعرف أسبابك. ولكن حيرني الأمر، وبدأت أتساءل لماذا تحمل حدبة؟

عبيد : كي أزيد تنكري إتقانا.

عزة : ولم التنكر؟..

عبيد : لأننا مجبرون الآن على التنكر.

عزة : (بلهفة وحياء) أأنت الذي أنتظره؟

عبيد : هل تشعرين بالتعب أو النعاس؟..

عزة : لا..

عبيد : إذن سأروي لك حكاية عن التنكر الأول، وكيف تسلسل؟..

عزة : لم تجب على سؤالي.

عبيد : ألا تريدين سماع الحكاية؟..

عزة : نعم.. انما يشوقني أن أعرف..

عبيد : لنؤجل الجواب، ونبدأ الحكاية. (يسرح ببصره في الليل، ويتخذ صوته نبرة مختلفة) في قديم.. قديم الزمان. كانت هناك جماعة من البشر تعيش حياة بسيطة متناسقة كنشيد أو أغنية. أفرادها متساوون تساوي الأحرار لا العبيد. يعملون في أرضهم المشتركة كاليد الواحدة. ويتقاسمون الخير كأفراد العائلة. يأكلون من مرق واحد، ولا برتدون من الكساء ما يزيد عن الحاجة أو الضرورة. في قديم.. قديم الزمان، كانت وجوه البشر صافية، وعيونهم شفافة. الباطن لديهم هو الظاهر لا التواء ولا بغضاء ولا حسد، والحياة بسيطة متناغمة تجري كالجدول العذب أو كالأغنية.. وذات يوم.. وصار اليوم تاريخا وبدءا. دب النشاز في حياة تلك الجماعة المتضافرة. انشق عنها واحد من أفرادها. كان أقوى.. كان أدهى، لا يهم، لكنه مزق املاك الجماعة، واستأثر بالحصة الكبرى. انفصل عن الآخرين، وتميز. ارتدى كساء زاهيا. بدل هيئته ووجهه، وتنكر. يومها ظهر المالك، وكانت أولى حالات التنكر. ثم تزين المالك أكثر وأكثر بالأبهة والثروة.. تحول المالك ملكا، وهو أقصى حالات التنكر. ومن الملك تسلسلت عمليات معقده من التنكر المتتابع. تفككت الحياة البسيطة الشفافة، وتمزقت وحدة الجماعة في صورة

تنكرية متصارعة. هناك الأمراء والعسكر. الأجراء والعبيد. المتسولون والمعدمون.. فئات كثيرة، كل منها يعيش متنكرا في ثوب ودور. بعضها تنكر ليحكم ويسود. وبعضها فرض عليه التنكر ليخدم ويضطهد. وفوق الجميع يتربع الملك سليل أول المتنكرين، وأحرص الجميع على زيه التنكري.. واستمرت الحال إلى يومنا هذا، لكنها لن تستمر إلى الأبد.

عزة : (بعد فترة تأمل) وكيف يمكن أن ينتهي التنكر وتعود وجوه البشر صافية، وعيونهم شفافة؟

عبيد : تروي كتب التاريخ عن جماعة ضاق سوادها بالظلم والمجاعة والشقاء. فاشتعل غضبها، وذبحت ملكها، ثم أكلته.

عزة : (مرتعدة) أكلوا الملك؟

عبيد : هكذا يروي التاريخ..

عزة : ألم يتسمموا!

عبيد : في البداية شعروا بالمغص.. وبعضهم تقيأ. ولكن بعد فترة صحّت جسومهم. تساوى الناس، وراقت الحياة. ثم لم يبق تنكر ولا متنكرون.

أم عزة : (من الداخل) عزة.. ألم تنامي! سنصحو غدا قبل الفجر.

عزة : جفاني النوم قليلا. ها أنذا آتية.

أم عزة : سنحتاج غدا إلى القوة والفكر الصافي. تعالي.

عزة : (هامسة) وعدتها أن أكتم الأمر. ولكن سأقول لك. غدا سنقابل الملك.

عبيد : الملك!

عزة : غداً أشرح لك. (تتردد) عرفت أنك من انتظر، ولن تفقدني أبدا.

(تمضي إلى الداخل).

عبيد : لو تعرف أي وتر موجع مسّت! كم تمنت هذه اللحظة، وكم تجنبتها. منذ الغد علي أن أبدل المأوى. والمهنة أيضاً إذا استطعت.

(اظلام)

## المشهد الثالث

لافتة: «الملك يعطي سريره ورداءه للمواطن أبي عزة».

(زاوية إلى جوار مخدع الملك. يظهر الحاج مصطفى والحاج محمود وعرقوب. الضوء خافت، والأصوات خافتة. يسمع شخير فظ ينبعث من داخل المخدع).

محمود : أف.. أهذا شخير أم نهيق حمير! سيوقظ كل أهل القصر.

عرقوب : واخجلتاه يا معلمي! لو علمت أين ترقد لاستحيت حتى من التنفس.

مصطفى : سقيناه مع الخمر منوما قوي المفعول.

محمود : (هامسا) أية فضيحة لو استيقظ بعض أفراد الحاشية.

عرقوب : (يخرج منديلا مهلهلا ووسخا من جيبه) سأضع هذا المنديل في فمه.

مصطفى : ولم! ربما وجد الأمر طريفا. مولانا الملك لا يتاح له دائما أن يسمع رعيته تشخر.

عرقوب : (ذاهلا) مولانا الملك! هل قلت يا حاج مصطفى مولانا الملك؟

مصطفى : نعم مولانا الملك. آن أن نكشف لك جلية الموضوع، حتى تساعدنا على اتمام المشروع.

محمود : تريث يا حاج مصطفى.

مصطفى : (بجدة) لا تقاطعني يا محمود. نحن يا عرقوب من ندماء الملك. هيأنا هذا الملعوب بأمره، والقصد أن ندخل السرور إلى قلبه. حدثناه عن اختلال أبي عزة، وتوهمه المحال. فاستعذب خبره، وطلب منا أن نعد الملعوب لنرفه عنه. معلمك يرقد الآن في مخدع مولانا الملك.

عرقوب : (ينطنط) مخدع مولانا الملك! واخجلتاه! يجب أن أكتم شخيره في الحال.

مصطفى : دع ذلك، واصغ إلي. لن يتم ما نريد إلا إذا أظهرت ما لديك من فطنة ونباهة. في الصباح سيلبس معلمك التاج، ويحكم نهاره بدلا من الملك. أما أنت فسترتدي ثوب الوزير.

محمود : ثوبي.. (متداركا) ثوب الوزير!

عرقوب : الوزير!

محمود : ربما لا يريد الوزير أن يلبس أحد رداءه.

مصطفى : (بجدة) عندما يريد الملك. فعلى وزيره أن يريد أيضا.

عرقوب : (ذاهلا، ومتحسا جده) أنا..! ثوب الوزير!

مصطفى : نعم. ترتدي ثوب الوزير، وتسلك مع معلمك سلوك الوزير مع مولاه الملك. لا بد من الانتباه. اللعبة قد تفسدها زلة اللسان، ويرتد أبو عزة إلى اليقظة قبل الأوان.

عرقوب : لا تخف يا حاج مصطفى. في هذه اللعبة لدي خبرة ومران.

مصطفى : إذن سينشرح صدر الملك، وهو يتابع ما يحمله النهار من فكاهات ومفارقات.

عرقوب : وهل يمكن أن أحظى بعد ذلك برؤية الملك الحقيقي؟

مصطفى : طبعاً ستراه، وتنال عطاياه. ولكن قبل كل شيء، ينبغي أن ينجح الملعوب.

عرقوب : كن مطمئنا.

مصطفى : لنسترح قليلا قبل أن يأتي النهار. اذهب إلى فراشك يا عرقوب، ولا تتأخر عن طلوع الشمس.

عرقوب : سأصحو مع الفجر. أستأذن مقامكما العالي راجيا أن تنعما برقاد هانىء. (وهو ينسحب، يتمهل أمام المخدع) أشخر يا معلمي اشخر، فغداً إلى دار الجنون ستعبر.

(يختفي..).

محمود : مولاي.. لا تزال هناك فرصة للعدول عن هذا التدبير. من واجبي أن أقول لك، انك تندفع وراء نزوة لا تخلو من المزالق..

مصطفى : شدة الوساوس تفقدك روح الدعابة يا وزيري.. قلت لك. اليوم رغبتي جامحة في السخرية. آه.. أحس أني طفل نصب فخه بإحكام، وهو ينتظر الآن تساقط الطرائد. أمامنا نهار ستتقطع فيه أنفاسنا من الضحك.

محمود : صنعت الفخ من ردائي (مستدركا) من ردائك وردائي!

مصطفى : أنعود إلى مسألة الرداء! لا تكن مضحكا.

محمود : ليعذرني سيدي. لا أستطيع أن أحتمل رخاوتي حين لا يكون ردائي على جسدي. فكيف إذا رأيت هذا الخادم يرتديه!

مصطفى : لا يليق بوزيري أن يكون خرقة مهلهلة. ولم كل هذا الاضطراب؟

محمود : لأن اللعبة خطيرة.

مصطفى : وهذا ما يزيدها امتاعا. أعرف أنها خطيرة. وربما فقد هذا المغفل في نهاية النهار عقله. ولكن لا أستطيع أن أكبت ميلي الشرس إلى السخرية والعبث. أتصور ارتباك الجميع. الشاب الرقبق ميمون سيكون أول من يلطشه العفريت. سيتصرفون كأن القصر سكنه جنّي. ثم تتوالى المفارقات. وفي المساء أقهقه في وجوه الجميع. وأعلمهم معنى أن يكون الملك على مقاس الرجل، والرجل على مقاس الملك.

محمود : وإذا تحولت المفارقات إلى حماقات يصعب علاجها؟

مصطفى : يمكننا التدخل حين نشاء.

محمود : مولاي كي نضبط اللعبة، ويتحقق السرور دون متاعب، دعني أظل الوزير. أبقى إلى جواره وأوجهه بما يجنبنا الخطأ الجسيم أو الحماقة.

مصطفى : لا.. ذلك يفقد الفكاهة طعمها. ستبقى أنت حيث أكون. أف.. ألا تستطيع أن تتخلى نهارا واحدا عن

الوزارة؟ ولمن تتخلى! فعلا أنك مضحك. دعنا نأخذ قسطا من الراحة، ونتهيأ للغد.

محمود : مرة سحب الصياد شبكته من الماء، فوجد في قعرها زجاجة مسدودة. أمسكها فتناهى إليه من جوفها أنين وبكاء.

مصطفى : أستطيع أن أنام هذه الليلة دون حكاية.

محمود : كما يحب مولاي.

(ينسحب الملك، ومحمود يتابعه بنظرة يمتزج فيها الغضب والازدراء).

محمود : علامة النهاية أن ينسى الملك شرطه، ويعامل بالاستخفاف ثوبه وتاجه. على كل، يجب ألا أفلت الخيط. ما يهم أن أنقذ ردائي، أما هو فليبلع الدرس من الألف إلى الياء. لنفكر بتدبير احتياطي.

(اظلام)

# فاصل (٣)

لافتة: « نذكر بأنها لعبة.. ولنتراهن على النتيجة ».

(كما في البداية يظهر عرقوب والسياف وكأنهما بهلوانان يلعبان.. في طرف قصي.. يقف عبيد وزاهد).

السياف : في الحيطة السلامة. ومن الحيطة أن نذكر.

عرقوب : كيلا يغفل المرء، ويسرح الفكر. نتوقف لحظة ونذكر.

السياف : المملكة خيالية.

عرقوب : والحكاية وهمية.

عرقوب : ونحن نحلم..

السياف : والأحلام كلها فردية.

عرقوب : (قافزا) وهم، وخيالات، وحلم..

عبيد : ما من ملك يتخلى عن عرشه إلا اقتلاعا.

زاهد : ما من ملك يعير، أو يؤجر تاجه ولو مزاحا..

عرقوب : نحن نلعب.

السياف : واللعبة تمضي حتى الآن ببراءة.

عرقوب : هذا النهار، سيعتلي معلمي العرش، ويحكم.. هو واحد منا. من حيّنا وعامتنا، فماذا سيعطينا؟..

السياف : بل هو من نخبتنا، فماذا سيعطينا؟

عرقوب : هو من حينا وعامتنا..

السياف : بل هو من نخبتنا .

(يتخذان وضع التدافع والعراك) .

عرقوب : سيعطينا نحن .

السياف : بل سيعطينا نحن .

عرقوب : هو واحد منا .

السياف : بل واحد منا .

عرقوب : منا .

السياف : بل منا .

(يتشابكان . وتتدافع كلمة منا بينهما ..) .

أ عبيد : (يوقفهما) فلنتابع .. ذاك أفضل ..

(اظلام)

# المشهد الرابع

لافتة: «المواطن أبو عزة يستيقظ ملكا».

(في المخدع الملكي. ميمون منهمك بتدليك قدمي أبي عزة. يبدو التدله على قسماته. وبين حين وآخر ينحنى ويلثم احدى قدميه. يرفع أبو عزة رأسه. ينظر إلى ميمون، ثم يغمض عينيه بسرعة، ويدفن رأسه في المخدة.. بعد فترة يلحظ ميمون يقظة أبي عزة..).

ميمون : (وهو ينحنى على القدم) أسعد الله صباح مولاي. وأفاض عليه الخير والبشر.

أبو عزة : ما أعذب الأحلام!

ميمون : جعل الله أيام مولاي مشرقة ودائمة الخضرة في الحلم واليقظة.

أبو عزة : (تهزهزه الدغدغة) قدماي.. آه لا تزد.

ميمون : تبت يداي. هل أفلتت مني لمسة خشنة؟

أبو عزة : أرق من طيف الخيال. تسري الدغدغة في بدني كالنشوة. آه. ليت هذا المنام لا تعقبه صحوة.

ميمون : أمرني مولاي أن أوقظه مع بزوغ الشمس.

أبو عزة : أطلب من الشمس أن تؤخر بزوغها قليلا.

ميمون : تعالت قدرة الباري. أيكون سلطان النعاس أقوى من سلطان الناس!

(يعتدل أبو عزة في السرير بحركة عنيفة. يحملق في ميمون، ويتطلع حوله بعجب واندهاش. ميمون لا يزال جاثيا حاني الرأس).

أبو عزة : (كأنما يحدث نفسه) ما أشد سطوة الأحلام! هل استيقظت فعلا ؟.. (يتحسس صدره ووجهه، يلمس الفراش. يمسك آنية من الفضة على طاولة قرب السرير) يدي تخبرني أن ما ألمسه صلب وحقيقي. لكن ماتراه عيناي لا يختلف عن أطياف الحلم. هذا الفراش الوثير. والأثاث المترف الوفير. الفضة والذهب. المخمل والحرير. أي حلم مثير!

ميمون : أدعو الله ألا تكون أصابت مولاي وعكة. ولا كانت غفوته عسرة!

أبو عزة : (يرمق الصبي. مترددا) من أنت أيها الشاب اللطيف. وأين نحن؟..

ميمون : أهي رغبة مولاي أن يعاقبني بالتجاهل؟ أنت في مخدعك السامي. وأنا ميمون عبدك وحاجب ايوانك.

أبو عزة : اقترب أيها الشاب الوديع.

ميمون : (وهو يقترب، حاني الرأس) بين يدي مولاي. ورهن كل إشارة أو رغبة.

(يلمس أبو عزة وجه ميمون بأصابع مترددة وراعشة ثم يداعب خده وشعره).

ميمون : ما أكرم هذه اليد الدرية!

أبو عزة : لا تفرّ أيها الحلم.

(يدخل عرقوب مرتديا ثياب الوزير. حركاته تتصف بالرزانة، وتقل فيها الخفة).

عرقوب : أسعد الله صباح مولاي.

أبو عزة : (مغطيا عينيه بيديه) نعق الغراب. وجاء مبدد الأحلام وهادم اللذات.

عرقوب : انهض يا مولاي. فالشمس أشرقت، وشؤون الدولة تنتظر التدبير والادارة.

أبو عزة : اغرب عني. وما علاقتي بالشمس. لم استعجل شروقها، ولن أترك هذا النعيم من أجلها.

ميمون : (هامسا) سيدي الوزير. أخشى أن تكون قد أصابت مولاي وعكة.

عرقوب : تنح قليلا، وسأرى ما أصاب مولانا.

أبو عزة : (يحدق إلى عرقوب بامعان متأملا رداءه) عرقوب. ما هذا اللباس الذي ترتديه!

عرقوب : عرقوب! عرقوب! منذ الصباح شهية مولاي متفتحة على المزاح. لا شك أنه يطلق علي هذا الاسم البلدي بغية مداعبتي.

أبو عزة : (غاضبا) معلمك لا يستسيغ المزاح على الريق. من أنا ومن أنت؟

عرقوب : كيف يكون المزاح اذن! أنت الملك فخر الدين المكين، وأنا الذي أنعمت عليه، وسميته وزيرك بربير الخطير.

(ينزع أبو عزة الأغطية عنه، وينهض بعنف وحرة..).

ميمون : نهض الكمال.

عرقوب : والعدل والجلال.

أبو عزة : ماذا فعلت مساء أمس؟
ميمون : البارحة كان مولاى متعبا، وأوى إلى مخدعه مبكرا.
أبو عزة : أين اليقظة! وأين الحلم! (يجول في الغرفة وهو يجس الأثاث ويعاينه) أين اليقظة! وأين الحلم!
عرقوب : حان أن يرتدي مولانا ثيابه، ويحمل تاجه وصولجانه. (إلى ميمون) ناد الحاشية.
أبو عزة : عرقوب.
عرقوب : (يقاطعه) مولاي.. أرجوك ألا تحطّ من شأني، وتمازحني أمام الحاشية بهذا الاسم.
أبو عزة : اقترب. أريد أن أمتحن التخوم التي تفصل بين اليقظة والمنام. اصفعني.
عرقوب : مولاي!
أبو عزة : اصفعني (عرقوب يصفعه بعنف وسف. يمل أبو عزة مع الصفعة. يضع يده على خده). آخ.. لعن الله هذه اللحية الطفيفة. (أبو عزة يمسك عرقوب بغضب).
عرقوب : سامحنى. ورد لي الصفعة مئة. لولا الحاح مولاي أقطع يدي ولا أجرؤ.
أبو عزة : (يفرك خده شاردا) ما هو بالحلم اذن! (فترة) ذكرني.. لا أدري ما الذي يشوش رأسي هذا الصباح. منذ متى ونحن الملك والوزير؟
عرقوب : بعد أيام ستحتفل البلاد بذكرى تتويج مولاي فخر الدين المكين. وطوال هذه المدة، أقف أنا بربير الوزير إلى جوار مولاي مثل الظل أو الخفير.

## المشهد الرابع - ٢ -

لافتة: «المواطن أبو عزة يختفي قطعة.. قطعة».

(تسمع جلبة. يدخل ميمون يتبعه حاجبان. ووراءهم فرقة الإنشاد..).
الفرقة: (بعد أن تصطف.. غناء خلفة):

أنـت مولانـا الكريم سدت بالملـك العظـيم
فابـق يا نسل الكرام في نعـــيم لا يرام
بالغـــا كـــل المرام في صفا حسن الختام

عرقوب : البسوا عظيم القدر، ثياب المجد والفخر.

(ينحني الحاجبان باحترام. ميمون يدلك كتفي أبي عزة.. وعند بدء ارتداء الملابس يسوي كل قطعة بلمسات حانية. يجب أن تتم عملية الارتداء بشكل بطيء، وكما تؤدى الطقوس السحرية أو المقدسة. يمكن أيضا أن يضم هذا المشهد لمسات ماكياج على الوجه..).

أبو عزة : (مع ارتداء قطعة الثياب الأولى) أأنا مسحور. أم أصاب عقلي أمر من الأمور؟

فرقة الإنشاد: أي مجد وفخار!

أبو عزة : تبدو التخوم زجاجية يتراءى فيها ضوء وسراب. أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور؟

فرقة الإنشاد: (بعد القطعة الثانية) أي عز واعتبارا؟

ميمون : (يحس تصلب جسد أبي عزة. هامسا) ليت مولاي يترك بدنه النقي يلين ويسترخي.

أبو عزة : أجتاز أرضا سبخة، وقدماي لا تغوصان، ولا تبتلاّن. أمشي وكأني أنزلق على سطح من الجليد المتلألىء. ما ورائي تطويه ريح غضارية، وتحمله بعيدا.. بعيدا. أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور؟

فرقة الانشاد: أي بأس ووقار!

عرقوب : ترفقا بالتاج. واحملاه كما تحمل مقلة العين.

أبو عزة : اختفت الريح وما طوته. تساقطت الذاكرة وما حوته. أتقدم وليس ورائي إلا جدار مظلم كتيم. أأنا مسحور!

ميمون : (يتناول يده) دعني أرصع هذه اليد الثمينة بالزمرد والياقوت.

أبو عزة : الضوء والوجوه. أشعر أني أرى بوضوح.

(يوضع التاج على رأسه).

فرقة الانشاد: أيّ كمال! أيّ جمال! أيّ بهاء!

أبو عزة : يبدو أني وصلت. أو ولدت. أدخل قاعة واسعة. واسعة وفارغة. يغمرها ضوء شرس كأنصال الخناجر. إني وحيد.

عرقوب : وهذا صولجان ملك الزمان.

(يمسك أبو عزه الصولجان. تكسو الجدية ملامحه، وتبدو قامته صلبة، ووقفته حازمة).

فرقة الانشاد: (تغنى وكأنها ترتل):

أمير العصر جليل القدر عظيم الفخر بلا نكر

. فدم في يسر طوال العمر مطاع الأمر مدى الدهر

البشر في جبينــــه والخـــير في يمينـــه
كالليـــث في عرينـــه يرعـــى حقوق شبلـه
في كل آن

فاحفظـه يا رب السما معززا مكرمـــا
فــــلا يزال معظما في ملكـــه وعدلـــه
طول الزمان

الملك : (يدق الأرض بصولجانه. ينوقف الغناء) عما قليل.. نمضي إلى الايوان، ونسير شؤون العباد.

الوزير : انصرفوا.

(اظلام)

## المشهد الخامس - ١ -

لافتة: « الملك يضيف إلى ندمائه نديمين جديدين ».

(زاوية متوارية عند المرتفى الذي يربط بين المخدع والايوان حيث يقع العرش في الفراغ الواسع. يتزاحم في الزاوية الحاج مصطفى والحاج محمود.. يتبادلان الكلام همسا).

مصطفى : (منطلق الوجه) أما لاحظت النشاز في الغناء؟ تخيلت عيونهم تجحظ، وحناجرهم تيبس من الخوف والذهول.

محمود : (ساخطا ومتضايقا) لم ألاحظ لا نشازا في الغناء. ولا جحوظا في الحناجر.

مصطفى : جحوظا في الحناجر! يبدو أنك اليوم رائق.

محمود : ولم لا. ألم تعطنا هذا النهار إجازة!

مصطفى : اجازة وفكاهة. هل زاولك الشعور بالرخاوة؟

محمود : بل امتدت الرخاوة إلى رأسي. أشعر أن ذهني..

(يظهر ميمون خارجا من المخدم. متجها إلى مكان وقوفه على باب الايوان).

مصطفى : (مقاطعا) هو ذا ميمون. فلنر دهشته. ونسمع أخباره.

محمود : لا أرى على وجهه دهشة أو ذهولا.

مصطفى : ميمون.. ميمون. (يلتفت مبمون نحو الصوت، متطلعا باستغراب) تعال.

ميمون : (يقترب مترددا، وهو يمعن النظر إلى الرجلين) ماذا تريد أيها السيد الغريب؟

مصطفى : السيد الغريب!

ميمون : لا أظن أني رأيتك قبل الآن. ويدهشني أنك تعرف اسمي، كما يدهشني دخولك إلى هذا المكان.

مصطفى : (هادرا ومهددا) ميمون!

ميمون : أيها السيد لا يكفي أن تعرف اسمي، كي يحق لك أن ترغي في وجهي.

مصطفى : (يبدل لهجته، متمالكا نفسه بصعوبة شديدة) لا عليك أيها الشاب. انما عجبت لأنك لم تتذكرنا. نحن من خلان مولانا الملك. جئنا مرارا إلى هذا القصر، ونعرف أهله بالسيماء والاسم. ولكن أهله واأسفاه ينكرون معرفتنا أحيانا.

ميمون : لم أتعمد الانكار أيها السيد الكريم. فأنا أفتدي مولاي بروحي. وأرعى حق خلانه كما ترعى الأمانة.

محمود : بارك الله فيك. هل استيقظ مولانا بالبشر والهناء؟

ميمون : في البداية.. فر الدم من أصابعي. خشبت أن يكون، لا قدر الله، متوعكا. ولكن تبين أنها أضغاث أحلام. وحين اكتملت يقظته تلألأ كالبدر التام. (يمس وجهه بأنامله حالما) آه.. ولن أنسى ما حييت. أنه هذا الصباح داعب بأصابعه الملكية خدى وشعري.

محمود : يومٌ يستحق أن تنقشه على خدك بالوشم.

مصطفى : قل لي يا ميمون.. هل أمعنت النظر إلى وجه مولاك؟

ميمون : وتسأل أسئلة أيها السيد! من يستطيع أن يمعن النظر إلى الشمس حين توهُّجها!

مصطفى : طيب.. ووجهي! هل تأملته؟ تأمله جيدا يا ميمون.

ميمون : (نافد الصبر) تأملته أكثر مما يسمح به وقت المستعجل.

مصطفى : أحقا لم تتعرفني!

ميمون : أيها السيد. خذها كيفما شئت. لا أذكر أني رأيت هذا الوجه من قبل.

مصطفى : (يمد له يده) وهذه الأصابع.. ألا تذكر أنك لمستها مرة من قبل!

ميمون : أف.. ما بال صاحبك! (يحرك سبابته فوق صدغه مومئا إلى الجنون) لم يبق إلا أن يدعي الملك. أستأذن بالانصراف لأن مولاي سيشرف الايوان بين لحظة ولحظة.

(يبتعد عنهما، وهو يهز رأسه ضيقا وعجبا).

مصطفى : كثيرا ما فكرت أن هذا الميمون ليس إلا رقيعاً مومساً أبله.

محمود : أخشى ألا يكون الوحيد.

مصطفى : ماذا تعني؟..

محمود : لا شيء.

مصطفى : هذا المساء سأفرم أنامله، وأطعمها للكلاب المسعورة.

(يظهر الملك، وخلفه عرقوب. مشية الملك حازمة، متناسقة بطيئة. وجهه تعلوه جدية مشوبة بمسحة من الكآبة النبيلة).

محمود : أطلّ الملك

مصطفى : (منتفضا) الملك! تقصد صاحبنا المغفل!

محمود : أيـة رزانـة! يبدو شديد الاندماج في ردائه.. أما عرقوب! انظر كيف يتبختر. انه يحشو ثوبي بالوضاعة والمجون. (يريد أن يندفع نحوها) أقتلع عيني ولا أحتمل هذا المشهد.

مصطفى : (يمسكه من قذاله) لا تكشف اللعبة من بدايتها!

محمود : انـه يلبس جلدي. انسلخ جلدي، وأعضائي تنفك وتنراخى. (يمسك عرقوب، بصوت خفض) حاذر على الرداء.

(يتوقف الملك. عرقوب يرتبك. ومحمود يمد على الرداء، ويسوي طياته، بينما يحاول مصطفى أن يوقفه ويجره).

الملك : كَنْ قاطع سيرنا؟ أين الحرّاس؟.

عرقوب : (يلجأ إلى الخفة مواريا المفاجأة) لا داعي يا صاحب الرفعة. لا داعي. ألم أخبر مولاى! لا شك أني نسيت أن أخبر مولاي. هذان الدرويشان التقينا بهما أثناء زيارتنا التفقدية لولابة.. ولاية..

مصطفى : (ساخرا) عنبر الشرقية.

عرقوب : أي نعم عنبر الشرقية. هل يذكرها مولاي؟..

الملك : لا أذكرها. وليس في مملكتي ولاية اسمها عنبر الشرقية.

عرقوب : هذه واحدة يا حاج مصطفى. وصاحب النكتة لا يفوت واحدة.

الملك : (لهجة جافة) باختصار.. من هما؟..

عرقوب : باختصار.. هذان الدرويشان في القصر منذ البارحة. اجتازا أمصارا وأخطارا، وجاءا آملين أن يدخلا إلى قلب مولاي السلوان، فيضمهما إلى جملة الندمان.

الملك : لدي الكثير من الندمان. وكل واحد منهم أشد سماجة من الآخر.

عرقوب : أما مصطفى ومحمود فيختلفان يا مولاي عن باقي الندمان.

الملك : ماذا يحسنان؟..

عرقوب : تقليد الملوك والوزراء. رواية الطرائف والعواء..

مصطفى : (زاعقا) العواء!

محمود : (يخبط على ظهر مصطفى بغلّ) وانتهينا يا حاج مصطفى إلى العواء.

عرقوب : أعني.. أعني.. ما يسميه الندمان عادة بالغناء. وفوق ذلك يا مولاي هذان الدرويشان يحسنان ألعاب المهارة والشطارة. وعندهما المام بأسرار المجون والخلاعة.

الملك : أضف إلى ندمائي رقمين جديدين. سأجربهما الليلة. ولكن سأخبركما شيئا لم تعرفاه بعد. لا أحب رؤية الندمان في الصباح.

(يدير لهما ظهره باهمال، ويتابع مشيته المتناسقة البطيئة. ينظر إليهما عرقوب مبتسما، ويهز رأسه ثم يتبعه).

محمود : افرح يا حاج مصطفى. حصلنا على التعيين، وأصبحنا نديمين.

مصطفى : ماذا تناديني! الحاج مصطفى! أنسيت نفسك؟

محمود : (وهو يجره إلى الزاوية المنزوية) أي.. دعنا نتوارى جانبا، كيلا يلتفت ويرانا.

## المشهد الخامس - ٢ -

لافتة: «الملك هو الملك.. والذي كان المواطن أبا عزة ينسى خصومه..».

(المشهد مستمر.. يرتقي الملك بعفوية ورزانة، الدرجات المفضية إلى العرش. يجلس بوقار وبساطة. عرقوب ينطنط حوله. لا يستطيع أن يمنع نفسه من تحسس العرش، والتمسيد عليه. وبين حين وآخر يتشمّمه. أنه يلعب..)

عرقوب : والآن آن القهر للحسادّ. (ينظر إليه الملك بفوة متغربا ومتسائلا) ما دمت سلطان البلاد.

الملك : ما معنى هذا اللغو؟

عرقوب : الخصوم يا معلم.. يا مولاي! حانت فرصتنا للانتقام من خصومنا. من تريد أن نحضر أولا؟

الملك : عن أي خصوم تتحدث! ثم ما هذه الخفة والحركات! أفترض أنك وزير لا مهرج.

عرقوب : (يتخذ وضعا جادا، ويحني رأسه) العفو يا مولاي. استخفني الطرب قليلا، لأن يوم الانتقام حان.

الملك : أي خصوم! وأي انتقام!

عرقوب : (مقلدا صوت أبي عزة) طه.. الشيخ الخائن المخادع.

الملك : خائن مخادع! لماذا؟..

عرقوب : لأن ذمته واسعة، ويأكل أموال اليتامى.

الملك : ألم يخطب للملك في صلاة الجمعة!

عرقوب : (يرتبك) حتما.

الملك : هل حرض الناس على العصيان والفتنة!

عرقوب : أيجرؤ! لا .. قلت فقط، أن ذمته واسعة، ويأكل أموال اليتامى.

الملك : مصيبة هذا البلد، ان الله وضع في أفواههم بدلا من الألسنة ثعابين.

عرقوب : طيب .. وشهبندر التجار!

الملك : صديقنا الشهبندر؟

عرقوب : صديق! يسميه مولاي صديقاً، وهو الذي خرب تجارتنا.

الملك : ماذا دهاك هذا الصباح! تبتدع لي العداوات مع أركان دولتي وملكي. أتريد أن تقوض عرشي؟

عرقوب : معاذ الله يا مولاي. ولكن خيل إلي أني سمعتك تتحدث عن الانتقام من بعض الخصوم.

الملك : متى؟

عرقوب : ربما البارحة.

(يبهم الملك لحظة، ثم يدق الصولجان. يهرع ميمون).

ميمون : مولاي!

الملك : أيها الشاب.. ماذا كنت تفعل البارحة في مثل هذه الساعة؟

ميمون : (مرتبكا) في مثل هذه الساعة! كنت أنثر بعض الطيب حول عرش مولاي.

الملك : ولماذا تلكأت اليوم؟..

ميمون : كنت أهم، حين دق مولاي صولجانه..

(يبدأ ميمون بنثر الطيب حول العرش..).

الملك : (بعد تأمل قصير، يلتفت بعتة إلى عرقوب) أنا أيضاً تتراءى لي أحيانا في المنام أو في الخلوة خيالات وأمور غريبة. إلا أني أتجنب الحديث عنها، وأنساها حين أصحو.

عرقوب : معك حق. لعله خيال أو منام. سنترك الخصوم والانتقام، ولا يبقى أمامنا إلا.. إلا أن نحضر بيت المال، ونسحب منه الودائع والرسمال. وبعدها نخلع العذارا، ونجعل الليل نهارا.. نغني مع نقيات البدن..

الملك : (يقاطعه غاضبا) أيها الوزير. (يتوقف عرقوب، والملك يحدق إليه بارتياب) أدن قليلا. (عرقوب يدنو منه، ويتفرس الملك في وجهه) در أمامي. (عرقوب يدور في مكانه كعارض أزياء. الملك يدقق النظر في ثيابه مفكرا. ثم يباغته) أحقا أنت الوزير بربير!

عرقوب : مولاي! أتشك بوزيرك!

الملك : لنؤجل هذا الموضوع الآن. من هو زائري الأول؟

عرقوب : الزائر الأول! الزائر الأول! كالمعتاد يا مولاي.. كالمعتاد.

الملك : (يدقق فيه مرة أخرى. يدق الصولجان، يهرع ميمون) ليدخل زائري الأول.

محمود : أرأيت! بدأت الريبة تساوره حيال عرقوب.

مصطفى : من كان يتخيل أنه يجيد التمثيل إلى هذا الحد؟!

محمود : وما أدراك انه يمثل!

مصطفى : ماذا يفعل اذن! أيمكن أن يتبدل الإنسان نهائيا في ظرف ساعة من الزمان!

محمود : وأحيانا لا يحتاج إلى كل هذا الوقت، هل تذكر ذلك اليوم منذ سنوات؟

مصطفى : ماذا حدث؟

ميمون : (مناديا) ليحضر مقدم الأمن بين يدي مولاي.

محمود : (شامتا) أما زلت تتوقع أن يتعثر بردائه، أو يتزحلق عن العرش؟ لم تضحك بعد يا حاج مصطفى.

مصطفى : هذه هي المرة الثانية التي تنسى فيها حدودك؟

محمود : حدودنا الحقيقية الآن. هي أنك الحاج مصطفى، وأنا الحاج محمود. ووظيفتنا نديمان في قصر مولانا السلطان.

مصطفى : بربير!

محمود : وأين الذي تناديه! لنر كيف سيتصرّف مقدم الأمن، العين التي تعرف متى يواقع كل رجل في هذه البلاد امرأته.

مصطفى : نعم.. هذا سيكشفها دون ريب.

## المشهد الخامس ـ ٣ ـ

لافتة: « الملك هو الملك.. والذي كان المواطن أبا عزة يتلمس الطريق الوحيدة المفتوحة ».

(المشهد مستمر. يدخل مقدم الأمن حاملا كرباجه. يمشي لا مباليا كرجل يعرف أهميته، وأن من الصعب الاستغناء عنه. اللامبالاة تصل أحيانا حد الاستهتار. يتوارى عرقوب، حين يلمحه، خلف العرش. تتصلب ملامح الملك، وهو يتابع مشيته، هذا التصلب يوحي بإحساس مزيج من التحدي، وبأنه يدفع إلى معركة).

مصطفى : (همسا) يبدو أن مقدم الأمن كشفها. لاحظ استخفافه.

محمود : لاحظته مرارا. ونبهت إليه مرارا.

مقدم الأمن (يقف أمام الملك دون احترام) مقدم الأمن بين يديك.

الملك : (محاولا السيطرة على قلقه وضيفه) كيف أمضت بلادي ليلتها ؟..

مقدم الأمن: ككل ليلة بأمان وهدوء..

الملك : ألم تعكر لبلتها حوادث جسيمة!

مقدم الأمن: لا شيء الا الحوادث اليومية البسيطة.

الملك : وفي الخفاء! ماذا يحاك في خفاء هذه البلاد؟

مقدم الأمن: مع رجالي لا يوجد خفاء.

الملك : انك مفرط الثقة أيها المقدم. والثقة المفرطة تقلل الاحتراز واليقظة.

مقدم الأمن : (بحدة) هذه اللهجة لم أتعود سماعها .

الملك : على الملك أن يغير لهجته بين حين وآخر ، اذا كان لا يريد أن يلتهم الخفاء عرشه .

مقدم الأمن : (يبدأ بالارتباك) هل يلمّح مولاي إلى شيء ؟

الملك : لا ينبغي أن يحتاج مولاك إلى التلميح . هذه البلاد لا تخلو أبدا من الخفاء .

مقدم الأمن : كأن مولاي يرتاب في أمر معين .

الملك : ملك بلا ريبة ، كالملك بلا عرش .

محمود : (هاتفا باعجاب) وربك .. هذا هو رأيي أيضا .

مقدم الأمن : أنها لفعلة دنيئة ! من وشى إلى مولاي ؟ .

الملك : (يعمه الإحساس بالسطرة على المعركة) أنت هنا لتقدم تقريرك ، لا لتستجوبني . ثم .. (يعلو صوته) أتسمي الإخلاص للملك وشاية !

مقدم الأمن : (ينهار) لم أقصد يا مولاي ... الاضطراب أربك لساني . لم اعتقد ضرورياً أن أزعجك بحادثة بسيطة كهذه . لقد أبلغت المسؤولين عن فراره من السجن . ونحن الآن جادّون في تعقّبه وكشف اتصالاته . لن يفلت وعصابته مهما أمعن في التخفي .

(ينزل الملك عن عرشه ، ويدور حول مقدم الأمن وهو يفيسه بنظرات صارمة ، ومزهوه) .

مصطفى : (بدأ الزيغ يتلامح على وجهه) وما هذه القصة أيضاً ؟ ..

محمود : نعم يا حاج مصطفى . البارحة عندما كنت الملك ،

أردت لولا ضجرك أن أفاتحك ببعض الشؤون. وأعيان البلد سيأتون اليوم إلى البلاط.

مصطفى : تقول.. عندما كنت.

محمود : هذه هي الصيغة اللغوية للحديث عن الماضي.

مصطفى : بربير!

محمود : وأين الذي تناديه!

الملك : (يقف أمام مقدم الأمن، ويدق صولجانه بالأرض غاضبا) فرار من السجن، واتصالات، وأيد خفية تقلقل العرش.. ومع هذا فإن مقدم الأمن يمثل بين يدي الملك، وكأنه يدخل إلى احدى جواريه.. وفوق هذا، يتبجح قائلا.. مع رجالي لا يوجد خفاء.

محمود : زد يا مولاي زد.. والله انك تشفي غليلي.

مقدم الأمن : (يخر على ركبتيه) أتوسل إليك يا مولاي ألا تغضب. كانت هفوة، وأعد ألا تتكرر. المسألة ليست خطيرة إلى هذا الحد.

مصطفى : مقدم الأمن.. عين الدولة البصيرة، لا يميز ملكه، وينحدر إلى هذا الدرك. أأنا أحلم!

محمود : هذه المرة.. لا.

الملك : (يعود، ويتربع على عرشه بدقة شديدة) وماذا يعني أن المسألة ليست خطيرة إلى هذا الحد. مولاك لا يحب الجلوس على عرش يهتز.

مقدم الأمن : ما هو إلا صعلوك يا مولاي. والذين يجمعهم حوله ليسوا إلا حفنة من الساقطين.

الملك : وماذا تريد هذه الحفنة؟..

مقدم الأمن : أن تثير بعض الشغب. ولكن سأطبخهم في قدور أمهاتهم قبل أن يثيروا حبة غبار.

الملك : وكيف ستطبخهم؟ أهم في أقبيتك وبين يديك!

مقدم الأمن : (مضطربا) اننا جادون في البحث عنهم.

الملك : ولم تمسكوا أحدا إلا الذي فر؟

مقدم الأمن : بل أمسكنا واحدا منهم (يحمر خجلا) لكنه مات تحت التعذيب، ولم يعترف بشيء.

الملك : إذن.. يهدد هذا العرش خطر غامض، وسري، وعنيد، خطر لا نعرف من أين وكيف يوجه ضربته.

مقدم الأمن : اطمئن يا مولاي. أعاهدك أن أصيدهم خلال فترة قصيرة.

الملك : اسمع يا مقدم الأمن. لا أحب الوعود المائعة. خير لك أن تشنق نفسك، إذا لم تقبض عليهم قبل عيد التتويج.

مقدم الأمن : مولاي..!

الملك : (يدق الصولجان) لا نقاش.. ويكفي اليوم هذا التقرير الممتع الذي قدمته.

مقدم الأمن : (منسحبا بانكسار) حاضر يا مولاي.

عرقوب : (يبطنط جذلا) جندلته يا مولاي ببراعة مذهلة. دخل كالطاووس وخرج كالمأر. لا شك أنه سيجزل لنا العطاء مقابل هذه الخدمة التي ساقتها المصادفة.

الملك : من؟..

عرقوب : (مستدركا) لا شيء.. لا شيء. اني أحدث نفسي.

الملك : حدث نفسك بصمت. ولا تعكر تأملاتي؟..

مصطفى : أأنـا مسحور! مقدم الأمن يخدعني! ماذا يجري في بلادي؟..

محمود : تجري في هذه البلاد أمور تقتضي أن يزداد الملك التصاقا بثوبه، وأن يشد قبضته على صولجانه.

مصطفى : وأنت! أكنت تعرف.

محمود : حين كنت وزيرا. وكنت الملك، طالما خطر لي أن أصفعك.

مصطفى : (يفقد أعصابه، ويمسك بقبته) تصفعني.. أنت بربير!

محمود : اهدأ يا حاج مصطفى، ولا تفضحنا. ان الذين عينوك لا يحبون ملكا بدأ يستهتر ويضجر. أو وزيرا لا يعرف ما يجري في البلاد. على كل.. عزموا منذ فترة على أن يفاتحوا الملك بالحقيقة، ويطلبوا منه أن يفعل ما يفعله الآن.

مصطفى : ما يفعله الآن! أتعني هذا الأبله؟

محمود : الملك الذي تسميه أبله، استطاع أن يكشف ما يجري في بلاده.

مصطفى : (الانهيار يتوالى تدريجيا) أكاد أجن، ما معنى هذا كله؟

محمود : لا شيء سوى أن مولانا الملك يلتصق اليوم بردائه كما يلتصق الجنين برحم أمه، ويمسك صولجانه كأنه حبل المشيمة. لو كان بالأمس كذلك، لفعل ما يفعله الآن دون زيادة أو نقصان.

مصطفى : لا أصدق. إنه كابوس. أستطيع أن أوقف هذا وفي الحال.

(يندفع، فيشده محمود، ويوقفه).

الملك : (يخرج من تأملاته. يدق الصولجان) فليدخل السياف.

عرقوب : السياف! أعوذ بالله. وما حاجتنا إليه!

مصطفى : عندما يدخل السياف، سأضع حدا للمهزلة. ولن تكون بلطته رحيمة.

محمود : المهزلة بدأها ملك. ولا ينهيها الآن إلا ملك. أما الحاج مصطفى، فإنه ليس سوى الحاج مصطفى.

مصطفى : أأنا مسحور!

السياف : (بين يدي الملك. حانى الجذع والرأس) السياف طوع البنان يا عظيم الشأن.

مصطفى : أأنا مسحور! ولم يلحظ أحد اختلاف سحنته ووجهه.

محمود : ليس للملك سحنة أو وجه.

(يتأمل الملك بلطة السياف، بنظرة يكظمها الشبق).

عرقوب : أعوذ بالله! ما هذه البلطة المخيفة! مولاي.. أنقضي

النهار مع البلطة، وربات الخدور ينتظرن اللهو والمداعبة.

الملك : (يرشق عرقوب بنظرة قاسية) أيها السياف.. قف على يميني. واجعل بلطتك في متناول يدي.

(يقف السياف على يمين الملك وقفة استعداد، ويمد البلطة لتتوازى مع مسند العرش).

عرقوب : (متخفيا بانزعاج) أعوذ بالله. ماذا دهاه؟

الملك : (يداعب الكتلة الحديدية، ويتحسس النصل بلذة شبه حسية) هكذا.. أحب أن تظل في متناول يدي.. أن أحس ملمسها الصلب تحت أناملي. أريد أن يخترق حديدها الأصابع، ثم يسري في ذراعي، عابرا جسدي حتى تجاويف القلب. أريد أن أتحد بالحديد. أن نصبح كتلة واحدة، ونصلا واحدا. هكذا.. ستظل أيها السياف إلى يميني. البلطة تسند يدي، وتنفذ في مسامي، حتى يندغم واحدنا بالآخر. الملك والبلطة.

السياف : (في صوته غصة) مطاع يا مولاي.

عرقوب : وحق الله، أكاد لا أتعرفه. من هو؟ والملعوب! ومولانا الذي ينتظر الفكاهة. عرقوب لم يعد يفهم شيئا من شيء.

محمود : بتسارع نبضي، وتخنقني الرغبة. أريد ثوبي. هذه هي اللحظة التي يتمنى فيها الوزير أن يكون إلى جوار مولاه. وهجه يصل إلي، ويلفحني.

مصطفى : أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور. (يحاول التمسك) أيها الوزير بنِّجه.

محمود : ابنج مولاي! ابنج الحديد يا حاج مصطفى!

مصطفى : آمرك أن تنهي اللعبة فورا.

محمود : ثم عرف الصباد أن في الزجاجة التي علقت بشبكته عفريتا محبوسا هو الذي ينتحب. فرق قلبه لتوسلاته، وفتح الزجاجة كي يحرره من سجنه، عندئذ اندفع يا حاج مصطفى مارد جبار قهقه بصوت دوت له الفيافي والقفار. وهجم ليقضي على الصياد الذي أطلقه من حبسه.

مصطفى : (يتضح فقدان التوازن على وجهه) أأنا مسحور! أم أصاب عقلي أمر من الأمور!

محمود : لن آسف عليك لو انتهت الحكاية هنا. أما أنا فعلي أن أجرب حيلتي وتدبيري!

(يتجمد المشهد كله إلا يد الملك التي تداعب البلطة).

## فاصل (٤)

لافتة: «اعطني رداء وتاجا، اعطك ملكا».

(المشهد متجمد.. مصطفى يخرج من زاويته، ويبدأ يدور على المسرح زائغ النظرات.. وعلائم الانهيار بادية عليه.. يظهر من طرفي المسرح عبيد وزاهد.. يلتقيان في المقدمة.. يؤديان عباراتها بخفة، ولكن برزانة أيضاً..).

مصطفى : (وهو يدور) ولم يتعرف على سحنته ووجهه أحد. أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور.. ماذا يدور..

عبيد : لبس الرداء فأصبح ملكا..

هذا التحول طبيعي ولو كان أمثولة أو حكاية.

زاهد : في الأنظمة التنكرية، تلك هي القاعدة الجوهرية.

أعطني رداء وتاجا، أعطك ملكا.

مصطفى : ماذا يدور؟.. أين الحقيقي وأين الزائف؟ أين الحلم وأين الواقع؟

زاهد : لا حقيقي هناك ولا زائف. كل القصة هي أن الرداء بدل حشوة بحشوة. تختلف التفاصيل، ولكن لا تختلف السمات الجوهرية.

عبيد : الذي يريح الآن مؤخرته على العرش يبدو أشد حزما.

والذي تفتش مؤخرته عن العرش كان حازما.

وعاجلاً او آجلاً، كان سيزداد حزماً
أصبحت الظروف تحتم، لحماية عرش يتزعزع،
أن يحزم الملك، ويقمع

زاهد وعبيد: (معاً) تختلف التفاصيل، ولكن لا تختلف السمات الجوهرية
وفي أنظمة التنكر والملكبة تلك قاعدة أولية.

مصطفى : (وهو يدور، جاحظ العينين، يتوقف أمام كل واحد من شخوص المشهد) مرايا.. مرايا.. كما لو كنت محبوسا في حجرة مضلعة من المرايا. الجدران مرايا. السقف والأرض والنوافذ مرايا. وأنا أدور في الحجرة وحيداً. أصفق، فألمح حشودا تصفق لي، أهتف، فتزحم عيني آلاف لا متناهية تهتف لي. أنحني فتنحني الملايين أمامي. أمشي فتواكبني مسيرة حاشدة تهتز لها قيعان الأرض. حشود.. حشود غفيرة تستعير كلماتي ولفتاتي.. وتتأهب منتظرة اشارة.. مرايا... مرايا..

عبيد : والكبرياء هي التي تنسي الملوك تلك الحقيقة الأولية.
حين تجول كسرى في ايوانه، وظن أنه فريد زمانه
نسي أن الذين بنوا الايوان كانوا يطيعون التاج والصولجان.

زاهد : وحين تأمل خوفو الهرم العظيم، واعتقد أنه أشد بأسا من الزمان.
نسي أن الذين ماتوا في بنائه، كانوا يطيعون التاج والصولجان.

زاهدوعبيد: وفي أنظمة التنكر والملكية تلك هي القاعدة الجوهرية.
أعطني رداء وتاجا، أعطك ملكا.
(ينسحب زاهد وعبيد).

مصطفى : (لا يزال يدور بين شخوص المشهد المتجمد، حتى يعود إلى زاويته عند محمود) ولم يتعرف على سحنته ووجهه أحد.. مرايا.. بعدها مرايا.. بعدها مرايا. أأنا مسحور، أم أصاب عقلي أمر من الأمور؟!

## المشهد الخامس ـ ٤ ـ

لافتة:« الملك هو الملك.. والذي كان المواطن أبا عزة ينكر نفسه وأهله ».

(تدب الحيوية في المشهد الذي كان متجمدا.. ميمون يقترب من العرش، وينحني أمام الملك).

ميمون : يا عالي المقام، في ردهة الانتظار امرأتان من الرعية، تحملان اذنا عليه الختم والعلامة، وتطلبان المقابلة.

عرقوب : (يفرك يديه) امرأتان! ربما اعتدل المناخ.

الملك : دع رعيتي تدخل إلي.

محمود : كم أحب هذه اللهجة الباترة الوجيزة!

مصطفى : المرأتان! آه.. نسيتها. الآن تنجلي الحقيقة.

(تدخل أم عزة وعزة. خطوات متعثرة ووجلة. وجهاها مطرقان ومضطربان..).

عرقوب : من أرى (يفرك عينيه) يا فاطر السماوات! ما الذي أتى بها؟.. تمّ الملعوب وبدأ الهزل!.

الملك : (لعرقوب الذي يخفي وجهه خلف كتف الملك) لا أحب أن يناجي الوزير نفسه كأنه تخبل.

عرقوب : (مضطربا، ومتلعثما) معلمي.. مولاي.! انها.. انظر.

الملك : بعد الجلسة الصباحية. سأتفرغ لك، وانظر في أمرك. ماذا تريد هاتان المرأتان من ملكها!

أم عزة : (وهي تركع بحركة مفاجئة ومدروسة. تلقي كلامها وكأنها تدربت عليه.) بعد السلام على ملك الأنام. بعد تقديم فروض الطاعة والولاء: جئت وابنتي للتوسُّل والرجاء. نحن عائلة جرّعوها السمّ، وأنزلوا بها الظلم.

الملك : نحن هنا لانصاف المظلوم. انما لا يحب مولاك التفجع والعوبل. انهضي يا امرأة. وأروي لنا ما جرى.

عرقوب : (يشد قامته، ويبرز متغلبا على حرجه) الملعوب ملعوب فما المحظور! هل أطلع من العرس بلا قرص؟

أم عزة : (تساعدها ابنتها على النهوض) يا ملك الزمان.. من كان مثلنا لا يستطيع الا أن يبكي على حاله، ويشكو من زمانه. جئنا نطلب الانصاف وعدل مولانا لا يُفلت ظالما، ولا يهمل ظلامة. كانت قسمتي في هذه الدنيا الفانية أن أتزوج رجلا قليل الهمة، عديم الحيلة.

عرقوب : (متخذا سمة الجد والأهمية) يا امرأة. لم تأتي لتشغلي مولاي بأسرار زوجك، وانحلال همته.

عزة : (تلمح عرقوب. تجحظ عيناها) أماه.. انظري.. كأنه عرقوب.

أم عزة : (تنظر هامسة بغضب) لا تكوني حمقاء. اتخلطين بين الوزير الخطير وعرقوب؟

الملك : لا تربك المرأة أيها الوزير. تلذني بساطة الرعية، وهي تكشف عورتها، وتتحدث عن همومها الصغيرة.

مصطفى : كأني الذي يتكلم.. امتدادي الذي يتكلم. من هو؟ من أنا؟..

أبو عزة : (وابنتها تندس فيها خائفة وهي ترامق خلسة عرقوب ثم الملك) عندما تسقط الذبيحة يا مولاي، لا تستطيع أن تخفي لا سوأة، ولا عورة. هذه الحقيقة. زوجي عديم الحيلة. وفي هذا الزمان يؤكل من لا يحسن التحايل والاحتيال. ترك له أبوه فضلة رزق ومال. ولصغر سنه، جعل عليه وصيا الشيخ طه، رجل واسع الذمة يا ملك الزمان. يبيع لحيته ودينه لقاء الدرهم. أراد أن يلتهم الميراث كله. ولم نستطع أن ننتزع من مخالبه إلا النصف أو أقل. شكوناه للقاضي، فما انتفعنا شيئا. لف بنا ودار، وبلع ما فيه النصيب، ثم طردنا بعد تقريع وتأنيب. لملمنا ما بقي عندنا. جمعناه. وفتح به زوجي محلا لتجارة القماش في السوق الكبير. في البداية مشت الأحوال حسنة. راج البيع، وكثرت المعاملات. لكن أولاد الحرام أكثر من أولاد الحلال. ضاقت عيون التجار، وعلى رأسهم الشهبندر الأكبر. فنصبوا لزوجي مكيدة فاحشة، ولقلة حيلته لم ينتبه إلا بعد أن أوقعوه، وإلى الافلاس رموه. لم نفهم كيف جرى الأمر. كل ما عرفناه أنه من عمل الشهبندر وشركاه. لم تبق هذه الأيام أخلاق أو ذمم. نهشونا يا ملك الزمان كما تنهش الذبيحة. وما زالت حالنا تسوء حتى تخبّل

زوجي، (عرقوب ينحنح) وغرق في الكأس والبأس. أصبحنا لا تحتنا ولا فوقنا وابنتي الوحيدة لن أجد لها ستره كريمة.

عزة : أمي!

أم عزة : لا تخجلي يا ابنتي. هو مولانا وراعينا، ويجب أن يعرف كل بلوانا. يا ملك الرعية، ليس لنا بعد الله سواك. جئنا نتوسل إليك أن تنصفنا، وترد لنا ما ضاع من حقنا.

(الملك ساهم، يداعب البلطة..)

مصطفى : هي زوجته، وتلك ابنته. ولم يتعرف أحد على أحد. أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور؟

محمود : الاثنان معا.

عزة : (وهي تتلملم مندسّة بأمها) أماه.. انظري إلى الملك. اني خائفة.

أم عزة : (هامسة) خائفة! خائفة! اصطحبتك لتقوّيني، لا لتخافي.

عزة : (تهمس متلجلجة الصوت) ولكن.. إنه يشبه أبي.

أم عزة : ماذا أصابك يا ابنتي؟ لا شك أنك محمومة. وان رهبة القصر شوشت عقلك.

الملك : (بغتة، إلى عرقوب) أيها الوزير. هل تعرف هاتين المرأتين؟

عرقوب : (يفاجأ، ويرتبك) مولاي.. ربما صادفتها مرة في احدى الجولات..

الملك : تعرفها أم لا؟

عرقوب : ومولاي.. ألا يذكر أنه رآها من قبل؟

الملك : لا.. ومولاك هو الذي يسأل، فأجبه.

عرقوب : أعرفها، ولا أعرفها. ربما صادفتها مرة.

الملك : سأكون أكثر وضوحا، لا أحب الوساطات الملتوية، أو الخفية. ما علاقتك بها؟

عرقوب : (يتردد، ثم يحزم أمره) ما دمت قد لمست الجرح، فسأكون أنا الآخر صريحا. وأرجو أن يقع الموضوع موقعا حسنا من قلب مولاي. إن وزيرك يبرِّح به الغرام. رأيت هذه الفتاة مرة، فتركت في قلبي ألف حسرة.

الملك : ان وزيري يعبر عن عشقه كالخدم.

عرقوب : أبغيها يا مولاي زوجة على سنة الله ورسوله. لو أنعمت علي بهذه المنحة، فستنبت لعر.. لوزيرك أجنحة، وسأحلق في السماء السابعة.

الملك : لا أريد وزيرا طائرا.

ميمون : يا صاحب المجد والفخار، أرسلت مولاتي الملكة تخبر أنها تنتظر تشريفك للراحة والافطار.

عرقوب : الملكة.

الملك : سنوافيها بعد أن ننهي هذه المقابلة.

ميمون : (وهو ينسحب) مطاع يا مولاي.

أم عزة الملك يشاور في أمرنا. هذا الاهتمام يبشر بالخير يا عزه.

عزة : أتمنى أن ننتهي، ونخرج. خوفي يتنامى. لا أجرؤ على النظر إليها.

أم عزة : ستتغير حالتك بعد حكم الانصاف.

الملك : أصغينا أيتها المرأة إلى شكواك. فوجدنا فيها ما يحير الفكر، وينال من الدولة وأولي الأمر. لا ريب أنها قصة محزنة، ووزيري أراد أن يقتص لكما، حتى قبل أن تمثلا أمامي.

أم عزة : أدام الله مولانا ووزيره!

الملك : أحزنني أيتها المرأة أن ينقلب عليكم الحظ. ولا شيء يثير اكتئابي مثل انقلاب الحظ على بعض رعيتي. فهو سبب الحسد والشقاق وبداية الحمق والبغضاء. ما أنا إلا فرد من الرعية، وأعرف جيداً مرارة الذي يخونه الحظ. يصبح حاقداً لا يعجبه العجب، ولا يرى إلا النواقص والعيب. لن أغضب منك أيتها المرأة. فأنا أعرف أن المرارة تعمي البصيرة. ولكن دعيني أسأل. هل جئت لتقولي لي.. ان هذا العرش باطل، واني ملك باطل، وان الدولة كلها باطل في باطل.

أم عزة : ليقطع الله لساني ان خطر في بالي.

الملك : يا امرأة.. من يخطب للملك في الجامع، ويصلي داعيا له؟

أم عزة : الامام وخلفه الناس.

الملك : وإذا كان الذي يخطب للملك، ويصلي له فاسد الأخلاق والذمة، فهذا يعنى ان الملك قد يكون باطلا لا يستحق عرشا أو بيعة. وان صلوات الناس خلفه كلها باطلة.

أم عزة : (يبدو عليها الرعب) معاذ الله أن أفكر.

الملك : ولكن تلك هي النتيجة المنطقية. إذا كان داعية الملك باطلا، وقاضيه باطلا، وبيعة الناس باطلة. فإن العرش أيضا باطل، والذي يجلس على العرش باطل، والناموس الذي يحكم البلاد والعباد باطل. هل جئت أيتها المرأة لتقولي هذا؟

أم عزة : أعدمني الله ابنتي إن قصدت ذلك.

محمود : كل هذه الادارة البارعة، ولا وزير يوجهه!

مصطفى : من الذي يتكلم؟ أنا! أم هو!

(عرقوب يبدو ذاهلا، تتدلى شفته وهو يتابع الملك.).

عزة : أماه! اني دائخة.

أم عزة : (هامسة بحنق) أهذا وقته! (تتجه إلى الملك مرتعدة).. أغفر لأمتك ان لم تعرف كيف تزن كلماتها.

الملك : لا بأس أيتها المرأة.. أعرف ان المرارة تعمي البصيرة. عندما ينقلب حظ المرء ينهش حتى نفسه. وننتقل الآن إلى التجارة والتجار.. هل استأذن زوجك الشهبندر حين فتح محله!

أم عزة : ولم يستأذنه يا مولاي! أليس لكل واحد الحق في أن يفتح محلا للرزق.

الملك : نعم لكل واحد الحق في أن يفتح محلا للرزق. ولكن لكل واحد أيضاً الحق في أن يحمي محل رزقه، ويديره وفق مصلحته. كل ما فعله الشهبندر، وهو ما يفعله

دائما، انه حمى نفسه ورزقه. التجارة حلال والمنافسة أيضا حلال. حين فتح زوجك محله دون أن يتفق مع الشهبندر، صار خصما ومنافسا. لم يسرقه أحد أو يغشه. وانما ورّط نفسه في مبارزة، أكبر من مقدرته وامكانياته. وكانت النتيجة أنه خسر وأفلس. نعم لكل واحد الحق في المبارزة. ولكن للآخر أيضا الحق في أن يكسب المبارزة. كان بالأحرى أن توجهي شكواك ضد زوجك. فهو سبب كل بلائك. ولأنه قليل الهمة، عديم الحيلة، وجد أن الأسهل هو أن يلقي التبعة على الآخرين، وينال منهم.. ثم ماذا؟.. وغرق في الكأس واليأس. أيتها المرأة.. حين يضرب سوء الحظ بعض رعيتي، أشعر بالاكتئاب. هذه الجلسة طالت.. وهاك أحكامي.. سجل أيها الوزير.. (ينتفض عرقوب من ذهوله، ويحاول أن يسجل الأحكام.. الملك يتخذ وضعا بالغ الجدية) حكمنا على زوج هذه المرأة بالتجريس. يدار به في كل أسواق المدينة. من الباب الصغير إلى الساحة المركزية. وقسمنا لهذه المرأة جعالة سنوية مقدارها خمسمئة درهم، يدفعها الوزير من ماله. ومقابل ما يدفعه، تعهد إليه هذه الفتاة، وله أن يتزوجها، أو أن تكون جارية في قصره..

عزة : (تستند إلى أمها، صارخة) مولاي..

الملك : (يدق الصولجان) انتهت الجلسة. هيا أيها الوزير..

(ينسحب الملك، وخلفه عرقوب مذهولا، وحائرا).

عرقوب : خمسمئة درهم! عرقوب لا يفهم شيئا من شيء..

مصطفى : ما هذا! أأنا مسحور أم أصاب عقلي أمر من الأمور! يبيع أهله، ويحكم على نفسه. ولا أحد يعرف أحدا.

محمود : ليس ضرورياً أن يعرف الملك كلّ رعيته يا حاج مصطفى!

مصطفى : رعيته! ومن الذي كان يتكلم! أنا! هو! ولا أحد يعرف أحدا. لا أحد يعرف أحدا...

أم عزة : (ساهمة) ما قاله الملك، سمعناه من الامام والقاضي والشهبندر.. كأنهم لسان واحد، وعائلة واحدة. يكن ينقصنا إلا التجريس.. ولكن .. ربما.. وتصبحين يا عزة زوجة الوزير.. من يدري.. الله كبير يا ابنتي.

عزة : أماه.. لا أريد.. لن أطأ عتبة قصره. اني مخطوبة.

أم عزة : مخطوبة! لمن؟

عزة : لهذا الذي سيظهر، وينهي البؤس، والذل، والتنكر..

أم عزة : عزة.. تكفيني مصيبتي بأبيك.. ألن يبقى بيننا واحد لم يفقد عقله!

السياف : (وهو يدفع المرأتين للخروج) يا الله يا امرأة.. امضي الآن، وسيأتي من يحمل ابنتك إلى قصر الوزير غدا.

أم عزة : هيا يا ابنتي.. هيا..

(تخرجان.. ومعهما السياف).

مصطفى : لا أحد يعرف أحدا.. والملكة. زوجتي التي تسممها

الغيرة من ريحانة. هذه هي اللحظة.. (يتكلم، وكأنه يهذي) بعد أن تشهق الملكة، وتكشف اللعبة.. سأكسر كل المرايا، وسأذبح الجميع.. الجميع بلا استثناء. كل شهود اللعبـة. كل الذين اشتركوا فيها. كل الذين شاهدوها.. الجميع.. الجميع.. اشهقي أيتها الملكة.. اشهقي واكشفي اللعبة.. ها أنذا قادِم.

(يندفع عبر الايوان.. يتبعه محمود..)

محمود : أين تمضي يا حاج مصطفى؟

مصطفى : سأبرز في المجلس كصيحة الرعب.. سأكسر كل المرايا، وأذبح الجميع.. هذه هي اللحظة..

(يشيعه محمود بنظرة ساخرة.. ميمون يحاول أن يتوقف مصطفى، فينحيه هذا بفظاظة).

محمود : حقا هذه هي اللحظة. الشكوك كانت تساور مولاي هذا الصباح. ولن تصعب ازاحة وزير لم يقتنع أنه الوزير. أما مولاي فسيظل مولاي. (يخرج رسالة، ويتجه نحو ميمون) ميمون..

ميمون : وما خطب صاحبك أيها السيد؟ انه فظ وغريب. دفعني. وجرى نحو جناح الملكة..

محمود : اليوم ضمّنا الملك إلى ندمانه. وفكاهات صديقي لا تخلو من الجنون، فلا تزعج نفسك به.. هل أستطيع الاعتماد عليك في خدمة طارئة أيها اللطيف.

ميمون : لا أقصر إذا استطعت.

محمود : هذه الرسالة عاجلة، فأرجو أن تدخلها إلى مولاي دون تأخير.

ميمون : ستصل في الحال أيها السيد..

محمود : (وهو يعطيه الرسالة) بارك الله فيك.

(يخرج ميمون..).

محمود : علمنا أنك تجلس على العرش ولست الملك. والذي يقف إلى جانبك مرتديا ثياب الوزير، ليس الوزير وهو يعرف الحقيقة، وأخبرنا بها. فغادر القصر قبل أن نأتي وندكه فوق رأسك. واعلم أن من يلبس ثياب الوزارة صديقنا، ولو أصابه أذى فسيكون غضبنا أعتى. هذا هو الامتحان الأخير يا مولاي. إما أن يستعيد الرداء هذا الذي جن.. وإما أن تستمر في حمل الرداء. وفي الحالين ستنشد مفاصل الدولة. وتزداد أهمية الوزارة.. ولكن يجب أن أسترد ثوبي أولا..

(يعود السياف، والحزن باد عليه.. يقعي إلى جوار العرس، ويبدأ يداعب بلطته بحنان.. يقترب منه محمود).

محمود : انك تداعب بلطتك كأنها عروس. أتحبها إلى هذا الحد؟

السياف : هي كل حبي.. ولكن يبدو أنها تتسرب، وتفلت مني..

محمود : لماذا؟.

السياف : (يغص صوته) ان مولاي ينازعني في حبها.

محمود : فعلا.. كان يضغط على حدبدها، وكأنه يريد أن يندغم به.

السياف : شعرت أنه يستلها مني.. من أعمق أعماقي، كانت ذراتها الصلبة تهجرني وتمضي إليه. أحسست أني أخور، وأن ساقي من قصب مجوف..

محمود : أفهم هذا الإحساس... وأعانيه الآن.

السياف : أتفهمه حقا؟ ولكن من أنت!

محمود : واحد من ندماء مولاي.. ضمّني اليوم إلى الخدمة..

(يدخل عرقوب مهرولا).

عرقوب : أين أنت يا حاج محمود. الحقني!

محمود : ماذا دهاك؟

عرقوب : يبدو أنه جن تماما. قل لمولاي.. أعني مولاي.. أن يتدخل ويفعل شيئا.

محمود : ماذا حدث؟

عرقوب : عجب في عجب. دخل ميمون، وناوله رسالة، فاكفهر وجهه، وانتفض كأنه بركان يجبش. ضرب قدمه في الأرض وصرخ.. وزيري.. وأعرف أنه زائف. أما الملك! هل يظنون أن الملك نكتة. الملك هو الملك، وسأريهم. ثم زأر بصوت لم أسمعه على مد عمري.. نادوا سيافي. وأغلقوا أبواب القصر.

السياف : (يثب واقفا) هل يناديني مولاي؟.. لأخفّ اذن..

(يهرع خارجا..)

عرقوب : ستصبح العواقب وخيمة. غطس في الملعوب حتى شوشته. يريد أن يزج بي في السجن. أين مولاي الحقيقي. ناده قبل أن يستفحل الأمر.

محمود : والملكة!

عرقوب : والملكة..! مولاتي الملكة بلحمها ودمها كانت تناغيه، وتطعمه بيدها.. وحين وقف وصرخ تلك الصرخة انطرحت على الأرض، وراحت تحتضن قدميه، وتقبلها مهللة.. أنت ملكي وسيدي. عذبني إذا شئت. افعل ما يحلو لك فأنت ملكي وسيدي.

محمود : (بنشوة جدية) يا لها لحظة! يا لها لحظة! ومصطفى!

عرقوب : مصطفى! أي نديم! دخل مزبدا يعلن أنه الملك. فضحكنا جميعا. ربطت الملكة عنقه بزنارها. وهو الآن يرغي.. ويعوي قافزا على أربع. ولكن أين مولاي؟

محمود : خرجت لتوك من حضرته.

عرقوب : حاج محمود. سنجن جميعا في هذا الملعوب. أين مولاي الملك؟..

محمود : الحقيقة ما قلته لك. وهذا الثوب لي فاخلعه قبل أن يجرجرك السجان.

عرقوب : أخلعه! لا.. لا تخض عقلي. هو معلمي وأنا أعرفه.

محمود : هو مولانا يا عرقوب. فهات النوب.

عرقوب : أصاب بالجنون، وأطلع من العرس بلا قرص!

محمود : تريد أن تبيعني وزارتي؟

عرقوب : وزارتك! ما دام معلمي هو الملك، فلماذا لا أكون أنا الوزير؟..

محمود : لأنه عرف أنك زائف. والسجان يطاردك الآن.. فتعال نبدل ثيابنا قبل أن يحضر ويرانا.

عرقوب : كم ستدفع؟..

محمود : لا تطمع كثيرا.

عرقوب : (يضرب على جبهته) والفتاة! لن تدخل في الصفقة. سأبيعك الوزارة دون الفتاة.

محمود : مولانا الملك أعطاها للوزير. فخذ بعض المال.. ولا تسرف في الآمال. أسمع صوت مولاي يهدر.. هيا بنا..

عرقوب : (وهما ينسحبان) الجنون في كل مكان في ببت أبي عزة، وفي قصر السلطان.

## لافتة: « الملك هو الملك.. والطريق الوحيدة المفتوحة أمام الملك هي الارهاب والمزيد من الارهاب ».

(يدخل الملك، وعلى وجهه يتلامح غضب ناري، إلى يمينه السياف. ووراءه ميمون..).

الملك : الحديد! لن يحمي هذا العرش إلا الحديد. ستصبح البلطة يدي. ساعدي. قلبي. ردائي وفراشي، لن أدعك تتعب بعد اليوم يا سيافي.

السياف : بهجة السياف أن ينفذ أحكام مولاه.

الملك : بعد اليوم.. الملك هو الذي سينفذ الأحكام التي يصدرها.

السياف : قطعت يداي أن تركت مولاي يلوث أصابعه.

الملك : لا شيء يطهر الملوك مثل الدم. سأغتسل بالدم. سأستحمّ فيه. سيكون بعد اليوم طيبي وعطوري.

السياف : (يختلج صوته) وماذا يفعل السياف اذن يا مولاي؟

الملك : يظل إلى جانبي، ويهيء لي طقوسي. ولكن متى يأتون وينقضّون على القصر. يريد قائد حامية المدينة أن ينقض على القصر. ومقدم الأمن يفر المتآمرون من بين

يديه الرخوتين. لا.. حان الوقت كي نشد مفاصل هذه الدولة.

الوزير : (يهرع إلى جوار الملك).. نعم.. حان الوقت يا مولاي. أبعدتني عنك هذا الصباح مكيدة لئيمة. لكننا والحمد لله أخمدنا الفتنة. لم يكن ذلك تدبير قائد الحامية. بل بعض العناصر الصغيرة والعميلة. سبخبر المنادي عن اكتشاف مؤامرة. وسنقبض على كل المشبوهين، والذين تبدو على وجوههم نوايا الشغب والفوضى.

الملك : وهناك تدبير عاجل أريد أن تباشر به. سنشكل جهاز أمن يراقب مقدم الأمن وجهازه.

الوزير : رأي سديد يا مولاي. وسنبدأ التنفيذ منذ اليوم.

الملك : أما ذلك الذي تظاهر بالوزارة!

الوزير : سنفوز به يا مولاي..

ميمون : يا رفيع الشأن.. يطلب الدخول إليك وفد من الأعيان.

الملك : ليشرّفني الأعيان.

الإمام والشهبندر: سلاما على مولانا.

الملك : وعلى الامام والشهبندر أطيب السلام.

الشهبندر : لا ندري إذا كان الوزير الخطير قد فاتح مولاي.

الوزير : سأزف لكما هذه البشرى. لا داعي لمفاتحة مولاي بشيء. منذ هذا الصباح، وهو يقبض على الصولجان بيد من فولاذ ونار.

الملك : كانت فتنة طارئة، وفوضى عابرة. ولكن سندحر الفوضى إلى السجون، وننشط البلطة حتى تقطع دابر كل فتنة.

الوزير : سيخبر المنادي عن اكتشاف مؤامرة. وتنظم حلقات التبريك والمبايعة، ثم تتوالى الاجراءات سريعة وحاسمة.

الشهبندر : هذه أخبار سارة.

الامام : حقا هذه أخبار سارة.

الملك : أريد أن نعبىء الرعية. وننمي تلاحمها مع المثل العليا وأولي الأمر فيها. سنعتمد على الامام في وضع برامج جديدة للكتاتيب والوعاظ والمنادين.

الامام : سبحان الله كيف تتوارد الخواطر. والله هذا ما كنت أقترحه، وأطالب بالاسراع فيه.

الوزير : ألم أقل لكما.. لا داعي للمطالب. الصولجان تمسكه يد من فولاذ.. دعونا ننتقل إلى جو اللطافة، ونتحدث عن الهدايا، والاحتفالات القادمة.

الشهبندر : الهدايا جاهزة.. وكل ما تحتاجه الاحتفالات موفور.

الوزير : ونحن سنشرع في الاجراءات دون ابطاء

(يدق الملك الصولجان).

الشهبندر : (وهما يتجهان نحو الباب) ألم تلاحظ أن سحنة الملك تغيرت.

الامام : نعم.. لقد أصبح ملكا أكثر.

(يتدافعان وهما يقهقهان.. يتجمد المنهد بعد لحظات).

# الخاتمة

(تعود الحيوية فتدب في المشهد.. يظهر الممثلون على الخشبة بملابسهم وأدوارهم كما في البداية..).

مصطفى : (وهو يدور. وزنار الملكة يتدلى من عنقه كالرسن..) هي لعبة. لا بد أنها لعبة. أنا هو. أو.. هو أنا.. مرايا.. مرايا مهشمة ووجهي ألف ألف قطعة. من يلم وجهي! أين الوزير؟ أين الحراس؟ أين الجواري؟ أنا الملك.. كانت لعبةً.. وأنا الملك. اني الملك. وأنقش الختم على بياض فينقضى أمري بلا اعتراض..

عرقوب : لا يا معلمي.. لن تجد عرقوب إلى جوارك بعد اليوم.

مصطفى : ووجهي ألف ألف قطعة.. من أنا؟.

عرقوب : حتى النقود التي بعت بها الوزارة تبين أنها مزيفة، وضاعت التي حلمت بها زوجة. هي لعبة. كنت فيها الشاهد والضحية. ولكن هل تعلمت شيئا؟ أخشى أن يكون قد فات الأوان. لم أعرف كيف ألتصق بالذين مثلي. ولم أعرف كيف أصل إلى الذين فوقي. وأخشى أن يكون الأوان قد فات.

مصطفى : ولعبنا.. ثم لعبنا.. من أنا؟..

أم عزة : سعيت لأنصف بيتي. فألقيت ابنتي إلى درك الجواري،

وحكمت بالتجريس على زوجي. ولو أعرف أين هو! أبحث عنه ولا أجده. هي لعبة. نالني ما نالني.. ولكن هل تعلمت شيئا..؟ ربما.. عرفت أنهم عائلة واحدة، ولكن ما الفائدة.

السياف : (مهزوزا ومنحلا) وفي اللعبة كنت المنظم والضحية. أخذ الملك البلطة. وصرت مجرد ظل أو غبار. ماذا يمكن أن يتعلم الظل أو الغبار؟

عزة : كانت لعبة.. دفعت إليها ولا أدري لماذا؟.. أنا جارية في قصر كريه.. أتمدد فتتمدد فوقي عناكب وحلزون ضخم.. من هو أبي؟ من هو الوزير؟ من هو عرقوب؟ من هو الملك!.. أدور وأدور.. لا أعرف شيئا. بين الفراش والحلزون أنسحق، ولا أذكر شيئا. القمر.. أين القمر؟.. لماذا هرب وانطفأ.؟

مصطفى : قولوا.. كانت لعبة.. والملك هو الملك.. أنا هو.. هو أنا..

(الملك ووراءه الوزير ومقدم الأمن وميمون والسياف يشكلون مجموعة تقف على يسار الخشبة، ووراءهم الشهبندر والامام يرقصان الدمى كما في المدخل.. في الطرف المقابل من المسرح يقف زاهد وعبيد).

الملك : لعبة.. ربما كانت لعبة. (لهجة اصدار الأوامر) من الآن فصاعدا. اللعب ممنوع.

المجموعة : (وراءه) اللعب ممنوع.

الملك : والوهم ممنوع.

المجموعة : الوهم ممنوع.

الملك : والخيال ممنوع

المجموعة : الخيال ممنوع.

(يصفق الشهبندر والامام).

الملك : والحلم ممنوع.

المجموعة : والحلم ممنوع.

(يصفق الشهبندر والامام).

زاهد : وحتى لو تغير الملك فإن الطريق الوحيدة الممكنة أمام الملك هي الإرهاب والمزيد من الإرهاب.

عبيد : ينبغي أن نتواقت مع اللحظة. لا نبكر ولا نتأخر.

زاهد : ألم تقترب هذه اللحظة؟

عبيد : انها ليست بعيدة على كل حال.

(ينزع النخوص أدوارهم، وملابسهم.. ثم يتوزعون المقطع التالي بصورة متناوبة أولا، وأصوات خفيضة، لا تلبث أن تعلو، وتتحد..).

- تروي كتب التاريخ عن جماعة
- ضاق سوادها بالظلم والجور والشقاء
- فاشتعل غضبها
- وذبحت ملكها
- ثم أكلته.
- ثم أكلته...
- في البداية شعروا بالمغص.
- وبعضهم تقيأ.

- لكن بعد فترة صحّت جسومهم. تساوى الناس وراقت الحياة.

- ولم يبق تنكّر، ولا متنكّرون..

- ولم يبق تنكّر، ولا متنكرون..

المجموعة : (معا) تروي كتب التاريخ عن جماعة ضاق سوادها بالظلم والجور والشقاء. فاشتعل غضبها، وذبحت ملكها، ثم أكلته. في البداية شعروا بالمغص، وبعضهم تقيأ، لكن بعد فترة صحت جسومهم. تساوى الناس وراقت الحياة، ثم لم يبق تنكر ولا متنكرون..

ما يجدوني إلى نشر هذه الإيضاحات في الطبعة الحالية، هو أولاً تبديد بعض الالتباسات التي أثارتها المسرحية منذ نشرت وعرضت أول مرة في دمشق. وثانياً الأمل في إغناء إمكانية التحليل لدى أي فرقة تحاول تقديم هذا العمل. وفي رأيي أن أي إخراج لا يستوعب بدقة بنيان المسرحية، ومقولاته الجوهرية، لا يؤدي في المحصلة إلا إلى عرض مفكّك أو مشوّش. لقد أخرجت هذه المسرحية في دمشق، وبغداد، والقاهرة، وعدن، وتونس، لكن لم يتح لي أن أرى إلا عرض دمشق. ولم يكن للأسف رغم ما بذل فيه من جهد صادق، على المستوى الذي أتوخاه من حيث الوضوح والعمق.

طبعاً لا أنوي هنا تقديم تحليل مسهب لكل شخصيات المسرحية ومقولاتها الفرعية. بل سأتوقف فقط عند بعض الأفكار الهيكلية التي تساعد على توضيح بنية العمل الجوهرية.

* * *

في مستهل مسرحية «الملك هو الملك»، ملاحظتان صغيرتان تشيران إلى أن المسرحية ما هي إلا لعبة حضّرها، ويقود مجراها زاهد وعبيد. والمقصود باللعبة مسرحياً، هو اننا ممثلون، وان ما نقدمه ليس محاكاة للواقع، وانما امثولة تساعد على فهم بعض ما يجري في الواقع، واتخاذ موقف منه. إلا أن اختيار شكل اللعبة، له هنا

وظيفتان إضافيتان. الأولى، هي ان الأحداث والشخصيات تقدم من وجهة نظر زاهد وعبيد بما يمثلانه، لا من وجهة نظر محايدة ولو شكلياً. وبالتالي فإن لكل واحدة من شخصيات المسرحية بعدين: الأول هو انها مع زاهد وعببد في جماعة واحدة، والثاني هو انها تؤدي دوراً في أمثولة، من الحيوي بالنسبة لها ان تتعمق مغزاها، وهي تبلّغه للمتفرجين. ولذا فهي غير مبنبة إلا بحدود جزئبة على أساس المكونات النفسية ووحدة الطبائع، وهي لا تتقمص الدور، بل تشخصه. أما الوظيفة الإضافية الثانبة، فهي الحيلولة دون استغراق المتفرجين والممثلين أيضا في الأوهام الطوباوية، أو الاماني المجانية.

في الفاصل ٣.. «نذكّر بأنها لعبة..» يقول عبد وزاهد

عبيد: ما من ملك يتخلى عن عرشه إلا اقتلاعا

زاهد: ما من ملك يعير، أو يؤجر تاجه ولو مزاحا.

تقول اللافتة الأولى وهي بالذات لافتة العرض المسرحي «الملك هو الملك... لعبة تشخيصية لتحليل بنية السلطة في انظمة التنكر والملكية». ولا شك أن هذا الاعلان المباشر يكشف، ودون أي لبس قصد المسرحبة والموضوع الذي تتوخى معالجته. وما نعنيه بأنظمة التنكر والملكية، هي المجتمعات الطبقية، ولا سيما البورجوازيات المعاصرة عسكرية كانت أم لا.. ولقد أخطأ الذي استدل من شكل الحكاية الخارجي على أن المقصود هو مجتمعات الاستبداد الشرقي، وبنى تقويمه للمسرحية على هذا الأساس.

فالأنظمة التي توخيت تحليلها هي كما قلت ذات صفة أشمل. وقد انطلقت في تحلبلها من استعارة مسرحية مركبة، لها جانبها الرمزي

العام، كما أن لها جانبا واقعيا يرتبط بأحداث الحكاية التي بنيت عليها المسرحية. هذه الاستعارة هي عملية «التنكر». وتاريخ المسرح يحفل، ولا سيما في كوميديات القرنين السابع والثامن عشر، بالأعمال التي تقوم -نبكتها على تبادل الأدوار عبر التنكر. لكن ما يلفت النظر في معظم هذه الأعمال، ان لم نقل فيها جميعا، هو ان «التنكّر» كان يستخدم لتكريس الوضع الطبقي القائم لا لإقلاقه، أو التشكيك في شرعيته. كان الأمير يظل أميرا وهو متنكر في ثياب الخادم. والخادم يظل يحمل ضعة ومجون الخادم، رغم أنه يرفل بثياب الأمير. كان المسرح أسير طبقة راسخة تموّله، وتحرض قابلياته، وما كان يستطيع إلا أن يدافع عن قيمها، واستقرار الأرض تحت قصورها. أما في الملك هو الملك، فإني أعود إلى موضوع «التنكر» ولكن بمعنى مناقض تماما. فهو لا يستخدم كمفارقة، مرماها تبرير الوضع الطبقي القائم، وتأكيد مشروعيته، وانما كانحراف تاريخي شرس ودام. فالمجتمعات الطبقية ما هي إلا سلسلة معقدة من عمليات التنكر، تصل في ذروتها إلى التجريد المحض. هذا التجريد هو الملك، أو بكلمة عامة الحاكم. ونعني بالتجريد، أن الشخص في الذروة ينحلّ نهائيا في مجموعة رموز وعلائم. الثوب، الصولجان، العرش، التقاليد، الحاشية.. الخ. وان مأساة الحاكم تبدأ حين يتوهم أن لديه امكانيات خاصة وبمعزل عن رموزه. أي حين ينسى أن شرطه الحقيقي هو بالذات رموزه. ونذكر هنا ان مأساة الملك في المسرحية قد بدأت تماما حين ضجر، وحين ظن أن العرش له مقاس واحد هو مقاسه كرجل. يقول: (وفي المساء اقهقه في وجوه الجمع، وأعلّمهم معنى أن

يكون الملك على مقاس الرجل، والرجل على مقاس الملك).. كذلك حين عامل بالاستخفاف علاماته الملكية. والوزير يقول: (علامة النهاية أن ينسى الملك شرطه، ويعامل بالاستخفاف ثوبه وتاجه). معنى هذا، أن الحاكم يبدأ انهياره حين يفتش عن وجهه، متمردا على الانحلال في التجريد، أو الرموز المخصصة له.

(- أأنا مسحور! ولم يلحظ أحد اختلاف سحنته ووجهه.

- ليس للملك سحنة أو وجه.)

والتجريد فى ذروة السلطة هو في الوقت نفسه محصلة، ورمز لسلسلة عمليات التنكر في المجتمع الطبقي. ولهذا ليس له أي شكل أو فعالية بذاته، بل يستمد شكله وفعاليته من القوى التي يمثلها، وادوات السلطة التي بعتمد علبها. بمعنى أن هذه القوى، وهذه الأدوات تتكثف في تجريد رمزي هو الحاكم.

أنا أعرف أن البعض قد بصف هذا التحليل بالميكانيكية. إلا أن هذه الميكانبكية، وبمثل هذا التطرف، تعمدتها في مسرحيتي لمعارضة التفسير الأخلاقي للتاريخ، الذي يحاول أن بستخلص من خلق ومزاج الحاكم معايير لفهم الأحداث، أو لتقويم المراحل التاريخية. ونحن نعلم، كم هي عديدة الأعمال التي صورت، وما تزال تصور صعود الفاشية مثلا على انها تدهور خلقي، أو ترد الكارثة كلها إلى تكوين هتلر النفسي.

وهناك جانب آخر يخص عالمنا العربي كان واحداً من حوافزى لكتابة «الملك هو الملك»، ودافعا للتطرف في انتهاج هذه الميكانيكية. ففي العقدين الاخيرين ولا سيما بعد هزيمة حزيران، ظهر

فيض من المسرحيات السياسية التي حاولت فضح الأنظمة القائمة. ولكنها في هذه المحاولة كانت تكتفي بنقد الأجهزة، أو بكشف فساد كبار المسؤولين الذين يتحلقون حول «الملك». ان الداء يكمن في الحاشية، أما «الملك» فأقصى حدود خطئه، إذا كان يخطىء، هو غفلته عما تقترفه الحاشية. معظم هذه المسرحيات يتوقف دون أن يصل إلى الجوهري. ومردّ ذلك، إما قصور وعي الكاتب السياسي. فهو يقف في تحليله للانظمة وادانتها عند مستوى اخلاقي بحت (فساد بعض الموظفين.. تمادي الأجهزة.. الخ)، ويعجز عن تجاوزه إلى المستوى الأيديولوجي العلمي. وإما أن الكاتب يحاول مداورة الرقابة. لكن الرقابة، ومهما كانت شرسة، لا تبرر الخطأ الفكري. فالحاشية هي الملك الحقيقي. أو كما قلت سابقا، ليس الملك سوى تجريد رمزي تتكثف فيه قوى النظام وأدواته. وهو لا يستطيع أن يكون عادلا، ولا رقيق القلب، ولا كريماً بمعزل عن، وفوق تلك القوى والأدوات. إن قدره هو أن يعي شرطه كتجريد رمزي لها، وان يحافظ عليه. دون ذلك، مصيره أن يخلع، ويلقى في فجوة النسيان أو الموت.

في هذا المنظور، لا يمكن في الأنظمة الطبقية، إدانة الحاشية وتبرئة الملك، وكما أن تغيير بعض افراد الحاشية لا يحل مشكلة الواقع السياسي فإن استبدال ملك بملك هو أيضا لا يغير شئا جوهرياً في الواقع، ما دام النّظام ذاته باقياً. والقول بأن تأثير هذه الفكره على المتفرج في الواقع الراهن هو احباط عزمه على تغيير الأنظمة القائمة، لأن الآتي لن يكون أفضل من الراهن لا يستقيم إلا إذا تعمّد القائل

إغفال البديل الجوهري الذي تطرحه المسرحية. وهو تقويض نظام التنكر والملكية بالتهام ذروته ورمزه، أي الملك. فليس المهم بعدُ أن نغيّر الملك، بل أن نلتهم الملك. وهذه العملية الطقسية، التي ربما بدت حلاً مقحماً على الحكاية، هي محصلة طبيعية، ما دام المجتمع يعرض كسلسلة من عمليات التنكر، تصل في الملك شكلها الأقصى. ان طقس الالتهام هو بالضبط، الاحتفال الذي يتيح لنا أن نتقاسم الملك، ونتوزع دلالاته. أي أن يصبح كل منا الملك في مجتمع بلا طبقات، وبلا تنكّر(١)

ذلك هو الجانب الرمزي في استعارة «التنكر». الا أن لهذه الاستعارة كما اسلفت جانبها الواقعي.

كل شخصيات المسرحية، وتفترض اللعبة انهم عناصر أو رفاق في جماعة واحدة، تحيا وواقعياً، ثلاثة مستويات من «التنكر» ذات

---

(١) يورد روجيه كايوا في كتابه «الإنسان والمقدس» مثالا موحبا عن الاحتفالات الإباحية التي كانت تقوم بها شعوب جزر «ديجي» عندما يموت الملك. فموته كان يعني موت السلطة، وسقوط كل القوانين والشرائع. ولذا كانت تلك الشعوب تقيم احتفالات عامة تبيح فبها كل شيء متخطبة جميع السلطات والمنوعات، ومتقاسمة كل الملذات التي يوفرها مىل هذا الوضع المتاعي. طبعا كانت الاحتفالات تستمر يوما أو يومين، ثم يعود النظام فبستتب مع جلوس الملك الجديد على العرش. إن هذه الطقوس التطهبرىة، والمتلازمة مع موت الملك، أو مع التمزق المؤقت في هرم التنكر، لهي عميقة الدلالة في مناخ الاستعارة التي استخدمنها مسرحية «الملك هو الملك».

طابع جدلي. الأول هو الوضع الطبقي غبر الشرعي الذي تقاسي منه. والمدخل يتضمن أكثر من إيماءة إلى هذا الوضع. فهم جماعة من سواد الناس لم يترك لهم النظام إلا أن يتحايلوا على الفقر باللعب والوهم والحلم. كذلك ثمة إشارات عديدة في حوار زاهد وعبيد، وفي عمل زاهد كحمّال. وإذا كان المجتمع (فئات كثيره.. كل منها يعيش متنكرا في ثوب ودور، بعضها تنكر ليحكم ويسود، وبعضها فَرضَ عليه التنكر ليخدم ويضطهد) فان مجموعتنا هي من هؤلاء الذين فرض عليهم التنكر لتخدم وتضطهد. أما مستوى التنكر الثاني، فهو التخفي الذي يفرضه نضالهم السري لتقويض مجتمع التنكر. (هم يمعنون في الإرهاب، ونحن نمعن في التنكر، ينبغي أن نتواقت مع اللحظة المواتية، لا نبكر ولا نتأخر) والتنكر هنا شرعي وايجابي، يستعير من التنكر الآخر عنفه وتنظيمه لكي يجهز عليه، وينهي لا شرعيته. بعدئذ، تأتي اللعبة، وهي مستوى التنكر الثالث، كعملية جدلية بين المستويين الآخرين. فاللعبة هي الدرس، أو هي عملية التوعية التي لا يتحقق النضال دونها، ولا يشتد إلا بها. وقد فات معظم الذين تناولوا المسرحية بالدراسة والنقد ملاحظة هذا التركيب الجدلي. ولهذا ركزوا على ضعف الخط الذي يمثله زاهد وعبيد، واعتبروا انهما شخصيتان لا تكتملان، وفعل لا ينمو. لكن هاتين الشخصيتين ما هما إلا الراوي أو المنظم، ونموهما غير مطلوب إلا في حدود قيادة اللعبة واستخلاص عبرها. ان الفاصل الذي يقدمهما كمناضلين، ما هو إلا مشهد إخباري يوضح في أي سياق تتم هذه اللعبة، والغرض منها. فعملية التوعية، وتحليل بنية السلطة، هما

فعلها الثوري الذي يمضي حتى غايته. وفي بعض مراحل النضال، التعليم ليس ضروريا فقط، وانما هو فعل حقيقي لازم وملازم لإنجاز الثورة. ان هؤلاء الذين يقدمون اللعبة، يتعلمون ويعلمون في آن واحد. وهم لا يحللون السلطة فقط، وانما يتناقشون ايضا حتى ولو كان هذا النقاش مضمرا.

وأحاول الان الإشارة بشكل سريع إلى بعض دلالات اللعبة.

على ضوء تحليلنا السابق لحقيقة «الملك» في الأنظمة الطبقية، يكفي أن تتوفر بعض الشروط، وأحياناً التشكلية، كي يتغيرً الحاكم، فإذا نسي شرطه كتجريد انزلق إلى نهايته. وهذا بالضبط ما فعله الملك حين استهتر بردائه وتاجه. ان الوزير يشير صراحة إلى أن الجولات التنكرية هي بمثابة فجوات زمنية، الملك والوزير خلالها، ليسا ملكاً ولا وزيراً. وإذا كان أبو عزة قد استطاع بسهولة ان يصبح الرداء والتاج، فلانه ما زال ينتمي فكريا، ورغم إفلاسه، إلى طبقة الثراء والسلطة. في المونولوج الذي يخاطب فيه خصومه يقول: (بعد الوجاهة وبحبوحة العيش، سقطت إلى درك العوام من الناس، وأجبرت على معاناة العسر والعيش كالرعاع في عوز وفقر. كان مكاني بينكم، فضقتم بي. تناهبتم المكان، والقيتموني إلى الهوان.) وخلال لعبته الملكية مع عرقوب اشارات عديدة إلى هذا الانتماء. ولأنه من وجهة ثانية يحيا حالة من تفكك الهوية تتيح له بيسر أن يصبح التجريد الملكي، ويندمج في رموزه.

وتغير الملك مع استمرار النظام هو حدث عابر أو «انقلاب عسكري» ثانوي الأهمية. وإن هذه الدلالة لا تبرز بكل ابعادها إلا

إذا تحول أبو عزه فجأة إلى ملك. إن أي تمهيد أو تدريب يضعف الدلالة، ويربك جلاءها.

في الفترة التي تشتد فيها التناقضات في المجتمعات الطبقبة، وتنمو حركة النضال، من الحتمي والطبيعي أيضا أن يزداد الإرهاب، وتتوسع السلطة في استخدام القمع. وهذه المقولة هي واحدة من موضوعات نقاش الجماعة. عبيد يعلنها في الفاصل الأول: (ليس أمام النظام الآن حتى لو تغير الملك إلا طريق وحيدة ممكنة هي الإرهاب).. واللعبة تبرهن على هذه المقولة. وإذا كان أبو عزة يمعن في الارهاب فلأنه ينفذ حتمية سياسية. إن آلة الدولة هي التي تتكلم، وتصيح، وتمسك البلطة. ولو ان الملك ظل إلى الغداة ملكاً، لفعل فعل أبي عزة. فى الفاصل الرابع يقول عبيد: (الذي يريح الآن مؤخرته على العرش يبدو أشد حزماً. والذي تفتش مؤخرته عن العرش كان حازما. وعاجلا أم آجلا كان سيزداد حزماً. أصبحت الظروف تحتم لحماية عرش يتزعزع، أن يحزم الملك ويقمع.)

وهذه المقولة كانت ستظل صحيحة، حتى لو استرد الملك الأصلي عرشه، وعاد أبو عزة إلى بيته. لأن الملك بعد أن تطلع إلى المرآة، وعرف بعده وشرطه كان سيتحول طاغية أعتى. وهو يصرخ في قمة انهياره: (سأكسر كل المرايا، وسأذبح الجميع.. الجميع بلا استثناء. كل شهود اللعبة. كل الذين اشتركوا فبها. كل الذين شاهدوها.. الجميع.. الجميع). والحقيقة هذا ما يفعله أبو عزة في نهاية المسرحية حين يشهر البلطة ويمنع اللعب، والوهم، والحلم. إن حتمية واحدة هي التي تتكلم، وهي التي تتصرف. وهذه الحتمية هي الهوية

الملموسة، أما الملك والملك، الأول والثاني، الثاني والأول، فيمكن باستمرار، ومكررين اللعبة مرة ومرة، أن نغير أحدهما بالآخر وتبقى الحتمية واحدة لا تتغير. هنا ليس الجذري إبدال هوية بهوية، وما من إبدال حقبقي، بل ابراز تلك الاستمرارية الطاحنة التي هي وحدها حقيقية وملموسة.

ما يحدد درجة استلاب الفرد هو قدرته على كشف التنكر. فأم عزة لا تستطيع أن تتعرف على زوجها ولا على خادمها، بينما ترتعش ابنتها، وهي أكثر وعيا، إذ تكاد تتعرف عليها. أما عرقوب الانتهازي، فإنه يستلب نفسه بنفسه. لقد حاول أن يقفز فوق حقيقته الطبقية، أو ان بتحايل عليها، فخسر كل شيء. وحتى في النهاية، عندما يبيع رداء الوزير بعملة زائفة، يعجز عن استنتاج ان الرداء هو الملك، وان الرداء هو الوزير أيضاً. وفي الضفة الأخرى، يمثل ميمون والسياف وفرقة الإنشاد وحتى الملكة التي لا تظهر، حالات استلاب خطيرة. لأنهم، وهم المستلبون- بفتح اللام-، يستلبون الآخرين، أو يدعمون وضع الاستلاب بشكل عام. وسيحصد الشهبندر والامام ثمار هذا التدعيم، ويجذّرانه بعبارة قاطعة ومطمئنة: (لقد اصبح- الملك- ملكاً أكثر.)

تلك هي بعض الأفكار الهيكلية التي اردت طرحها في مسرحية «الملك هو الملك» وأرجو ألا أكون قد أثقلت على القارىء.

سعد الله ونوس

«من بين المقالات العديدة التي تناولت هذه المسرحية بالدراسة والتقديم، اختارت دار الآداب هذا المقال الذي كتبه الدكتور علي الراعي، والذي نشره في كتابه الهام «المسرح في الوطن العربي»

دار الآداب

كتب سعد الله ونوس المسرحية التي فجّرت قضبة، وقدمت للمسرح العربي المعاصر شكلا جديدا عليه، هو شكل المسرحية المرتجلة، وذلك حين تقدم في عام ١٩٦٧ بمسرحيته النابضة: «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» وتلت هذه المسرحية «مغامرة رأس المملوك جابر» وهي أيضاً تسعى إلى كسر الايهام، ومزج الممثل بالمتفرج في حدث مسرحي واحد.

ثم جاءت من بعد مسرحية «سهرة مع أبي خليل القباني» وفيها أيضاً سعى الكاتب إلى عرض الظروف السياسية الاجتماعية التي ولد فيها مسرح القباني، وقدم احدى مسرحياته بالفعل داخل إطار من التعليق الجاري، الذي يأخذ شكل الارتجال، دون أن يكون مرتجلا بالفعل.

وفي هذا العام (١٩٧٨) أخرج سعد الله ونوس مسرحيته الفاتنة: «الملك هو الملك» وفيها استخدم بلباقة فنية كبيرة احدى حكايات

ألف ليلة، تلك التي تروي كيف أن هارون الرشيد قد ضجر ذات مرة فقرر أن يصطحب وزيره في جولة ليلية، سمعا خلالها من يقول «آه لو كنت ملكاً، لاقمت العدل بين الناس وفعلت كذا وكذا.» فيقرر الخليفة أن يأخذ الرجل إلى قصره وأن يجعل مه خليفة لمدة يوم واحد.. إلى آخر الحكاية. كما يفيد ونوس أيضاً من حكاية أخرى من ألف لىلة هي حكاية هارون الرشيد الذي خرج ووزيره متخفيين طلباً لبعض الأنس، فوجدا رجلا يتزيّا بزي هارون الرشيد ويتخذ لنفسه وزبرا وسيافا، واتقن هذا التمثيل كله حتى ليحار المشاهد ولا يدري أي الرجلين هو الخليفة الحقيقي.

ومسرحية «الملك هو الملك» تعتبر في رأيي أعذب ارتشافة ارتشفها كاتب مسرحي عربي من ارث ألف ليلة. وهي إلى هذا أحسن ما قدم حتى الآن لتطويع تراث ألف ليلة وانتشاله من جمود الماضي إلى حبوبة الحاضر وسرعة اندفاقه، ثم توظيفه من بعد لخدمة رسالة سياسية. الملك في مسرحية سعد الله ونوس يضجر هو الآخر ويقرر أن يعابث رعيته حتى يذهب عن نفسه السأم. وهو ملك مستبد، ظالم، واثق من ثبات عرشه، وكفاءة رجال أمنه، وخنوع شعبه. وهو لهذا يزدري الكل، بما فيهم وزيره.

ويقع اختيار الملك على ضحيته، وهو تاجر سابق، اخنى عليه الدهر، وركبته الديون، وتآمر علبه شهبندر التجار، والقاضي، والنظام نفسه، فأصابته لوثة، فهو يحلم بأن يصبح سلطان البلاد، ويشدد القبضة ولو يومين على العباد. ينقش الختم على بياض وينقضي أمره بلا اعتراض ويشنق الشيخ طه بعمامته، وينتقم من

شهبندر التجار وتجار الحرير جملة، بمصادرة أموالهم ثم اعدامهم.

في هذا الوهم يعيش أبو عزة، ومن هنا تبدأ لعبة الملك. يقرر الملك أن ينقل أبو عزة إلى قصره ويجعله ملكاً، ليتلهى من بعد بتصرفات (الملك) الخرقاء.

غير أن الملك الحقيقي لا يلبث أن تصيبه صدمة كبرى. ان «أبو عزة» ما أن يتزيّا بزي الملك، حتى يقبض على كل اتباعه وعلى كل من يحوطه من أشياء بيد من حديد. حتى مسؤول أمنه الذي يدخل عليه مستخفا لا يلبث أن يتضاءل وينكمش، ثم ينهار في حضرة «الملك».

ونديم الملك لا ينكر الملك المزيف. وحتى الملكة تقبل على «ملبكها» الوهمي هذا تناغيه وتطعمه بيدها. وحين يقف ويصرخ صرخة مدوية تنطرح على الأرض، وتحتضن قدميه وتقبلها مهللة: أنت ملكي وسيدي. عذبني إذا شئت. إفعل ما يحلو لك فأنت ملكي وسيدي!

الكل اذن يدين بالطاعة والولاء للملك الجديد. وعبثا يحاول الملك الأصلي أن يحتج، وهباء تذهب جهود وزيره للعودة إلى الموقف الأصلي الذي بدأت منه اللعبة. لفد أصبحت اللعبة جدا، وأصبح الموقف واضحا: اعطني تاجا وثيابا اعطك ملكا!

ولا يلبث الملك الجديد أن يسير في طريق الإرهاب ذاته الذي كان يسير فيه سلفه. بل إنه يمعن في هذا الارهاب حتى ليود ان يقتل اعداءه بنفسه بدلا من أن يوكل هذا الأمر لسيافه. فالعروش لا بد وان تغسل بالدماء بين الحين والحين.

وحين تأتي أم عزة، زوجة «الملك» ومعها ابنتها عزة، تشكو حالها من ظلم التجار الذين تآمروا على زوجها فأكلوا ماله وأفسدوا تجارته، وتشكو أيضاً من ظلم زوجها نفسه لها ولبنتها، لا يعرفها الملك، ولا تهزه مظلمتها، وانما يدافع عن أعمال التجار، ويحكم على زوجها بالنجريس جزاء ما جنت يداه.!

والى جوار هذا الخط الارهابي الأسود، هناك خط أبيض ناصع البياض يتمثل في الجماعة السعيدة التي تنظم نفسها في الخفاء وتتحين الفرص حتى تنقضّ على العرش وصاحبه.

وفي حوار رقيق وحنون يحكي عبيد، أحد أفراد هذه الجماعة لعزة حكاية التاريخ منذ البداية. فقد كان الكل سعداء، متساوين، لا يحملون هما ولا ضغينة، بل تجري حياتهم بسيطة متناغمة كالجدول العذب، حتى يأتي يوم أسود يدب فيه النشاز في حياة الجماعة. يخرج عليها أحد أفرادها، الاقوى، والأدهى بينهم جميعا، فينفصل عن الجماعة ويمزق املاكها ويستأثر بالحصة الكبرى ويميز نفسه عن غيره ويرتدي كساء زاهيا ويتنكر، ويصبح من يومها المالك. ثم يصبح المالك من بعد الملك، وهذه أقصى حالات التنكر.

وحول الملك تتحلق جماعات متصارعة. العسكر. الاجراء والعبيد. المتسولون والمعدمون.. وتستمر الحال على هذا النمط إلى يومنا هذا ولكنها لن تستمر إلى الأبد.

وتسأل عزة وهي مبهورة تواقة: متى يعود البشر إلى وجوه الناس؟ فيقول لها عبيد: يوم يأكل الناس الملك! ذلك أن كتب

التاريخ تروي نبأ عن جماعة ضاقت بظلم ملكها فأكلته! في البداية شعروا بالمغص وبعضهم تقيأ. ولكن بعد فتره صحّت جسومهم وتساوى الناس وراقت الحياة. ولم يبق متنكر ولا متنكرون.

لقد نجح ونوس في هذه المسرحية العذبة في ان يوظف أفكاره القديمة توظيفا عضويا جميلا، وأن يضمنها شكل الحكاية الشعبية وروحها، وعذوبتها. لهذا قلت في أول هذا الكلام: ان هذه المسرحية هي أعذب رشفة من نبع التراث الشعبي ارتشفها كاتب عربي. وهي في رأيي اصفى وأرق وانجح ما كتب ونوس.

هنا تجنب الكاتب ما كان يسند إليه في السابق من استخفاف بجموع لشعب، واعتبارها كما قابلا للتشكيل حسب رغبة أية طاغية.

وفي «الملك هو الملك» درس سياسي واضح، وهو أن تغيير الأفراد لا يغير الأنظمة، وانما على الأنظمة أن تتغير من قواعدها. حتى تصح الجسوم، وتلمع الوجوه بالبشر كما كان الناس في سابق الزمان.

ولا يخرج ونوس هنا طويلا عن روح المسرح المرتجل الذي عشقه منذ «سهرة من أجل ٥ حزيران». فالمسرحية تبدأ، وثمة جوقة تحاول تنظيم نفسها، وتؤكد للمتفرج أن ما سوف يراه هو لعبة..

وبكون بين أفراد الجوقة- عدا شخصات المسرحية البارزة- شهبندر التجار والشيخ طه وكلاهما يحمل بعض الدمى يحركها بخيوط.

فالمشهد اذن يبدأ كمسرحبة عرائسية.. ولا تلبث الجوقة ان تبدأ

في اللعب ويكتشف الناس أن اللعب مسموح به، بينما يرد السياف بقوله: بل ممنوع. ونعرف أن الحرب بين المسموح والممنوع قديمة قدم الأزل. فلا الطغاة يسمحون ولا الدهماء تكف عن الطلب. ونعرف أيضاً أن الخيال مسموح به، ومن هنا تبدأ اللعبة التي تجذب إليها أبو عزه والملك معا، لعبة التنكر، وادعاء الامتياز.

وتنتهي المسرحية كما بدأت. أفراد الجوقة مع الملك الجديد. والشيخ طه وشهبندر التجار فى الركن المقابل. والملك الأصلي يقول:

– قولوا.. كانت لعبة. والملك هو الملك. أنا هو. هو أنا [ويرّد الملك الجديد:

– لعبة؟ ربما كانت لعبة. (لهجة اصدار الأوامر من الآن فصاعدا): اللعب ممنوع.

والوهم ممنوع

والخيال ممنوع

والحلم ممنوع

ويضيف زاهد، أحد أفراد الجماعة النورية:

– وحتى لو تغير الملك فإن الطريق الوحيدة الممكنة أمام الملك هي الارهاب والمزيد من الارهاب.

ويقول عبيد:

– بنبغي أن نتواقت مع اللحظة. لا نبكر ولا نتأخر.

زاهد : ألم تقترب هذه اللحظة؟

عبيد : انها ليست بعيدة على كل حال.

ثم ينزع الشخوص أدوارهم وملابسهم ويتوزعون على شكل كورس يخاطب المتفرجين ويحكي لهم حكاية الجماعة التي ضاقت بحياتها واشتعل غضبها، فهبت تأكل مليكها.

ها هو ذا المسرح الشعبي- أخيراً- يجد من يستخدم أسلوبه وحيله وقدرته الفاتنة على اجتذاب الجماهير، ثم يجعل من هذا المسرح عملا يمكن تمثيله وامتاع الجماهير به، وفي الوقت نفسه يكون هذا كله أدباً لا شك فيه.

د. علي الراعي

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف. ٢٧٧١٨٤ - ٢٧٦٥٣٨ - بيروت - لبنان

١٢٠

## مسرحيات سعدالله ونوس
### من منشورات دار الآداب

- ☐ حفلة سمر من أجل ٥ حزيران
- ☐ الفيل يا ملك الزمان
  ومغامرة رأس المملوك جابر
- ☐ سهرة مع أبي خليل القباني
- ☐ مأساة بائع الدبس الفقير
  ومسرحيات أولى
- ☐ فصد الدم
- ☐ الملك هو الملك

ا... ل.ل. او ما يعادلها